الفصل الثاني

مرويات الطبري عن انعقاد البيعة لمعاوية رضي الله عنه

- استخلاف الحسن رضي الله عنه.
- وقوع الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما.
- موقف أمراء علي رضي الله عنه من الصلح.

استخلاف الحسن رضي الله عنه

[٣٨] قال الطبري: «وفي هذه السنة ـ أعني سنة أربعين ـ بويع للحسن بن علي عليه السلام بالخلافة.

وقيل: إن أول من بايعه قيس بن سعد[١]، قال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عزوجل، وسنة نبيه، وقتال المُحلِّين، فقال له الحسن رضي الله عنه: على كتاب الله وسنة نبيه فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط. فبايعه وسكت، وبايعه الناس»[٢].

هذا الخبر أورده ابن الجوزي[٣]، وابن الأثير[٤] بمثله.

[٣٩] حدثني عبدالله بن أحمد المروزي، قال: أخبرني أبي، قال: حدثنا سليمان، قال: حدثني عبدالله، عن يونس، عن الزهري، قال:

---

(١) قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، صاحب رسول الله ﷺ، كان من الرسول بمثابة صاحب الشرطة من الأمير، شهد الجمل وصفين والنهروان مع علي رضي الله عنه، وبعد وقوع الصلح بين الحسن ومعاوية لزم قيس المدينة، وتوفي بها في خلافة معاوية. ابن عبدالبر: الاستيعاب ٣/ ١٢٨٩.

(٢) ٥/ ١٥٨.

(٣) المنتظم ٥/ ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٤) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٠٢.

«بايع أهل العراق الحسن بن علي بالخلافة، فطفق يشترط عليهم الحسن: إنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت، فارتاب أهل العراق في أمرهم حين اشترط عليهم هذا الشرط، وقالوا: ما هذا لكم بصاحب وما يريد هذا القتال. . .»[١].

هذا الخبر أخرجه ابن عساكر من طريق الزهري بمثله[٢]، وأورده ابن كثير بنحوه[٣].

نقد النصوص

كانت بيعة الحسن بن علي رضي الله عنهما في شهر رمضان من سنة ٤٠هـ وذلك بعد استشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه على يد الخارجي عبدالرحمن بن ملجم المرادي[٤] [٥].

هذا وعند الحديث عن بيعة الحسن رضي الله عنه تبرز أمامنا قضية يروج لها الشيعة[٦] بقوة، ألا وهي قضية النص على خلافة الحسن

---

(١) ٥/ ١٦٢.
(٢) تاريخ دمشق (مخطوط) ٤/ ٥٣٥.
(٣) البداية والنهاية ٨/ ١٧.
(٤) عبدالرحمن بن ملجم المرادي، خارجي مفتر، شهد فتح مصر، كان من شيعة علي رضي الله عنه وشهد معه صفين، ثم أدركه الكتاب وفعل ما فعل. الذهبي: تاريخ الإسلام (عصر الخلافة الراشدة) ٦٥٣.
(٥) انظر ابن سعد: الطبقات (تحقيق د. إحسان عباس) ٣/ ٣٥ ـ ٣٨.
(٦) المراد بالشيعة في هذا المقام: (هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته، وخلافته نصاً، ووصيةً، إما جلياً، وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو =

رضي الله عنه من قبل والده علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١].

وهذا الأمر يعد من مفتريات الشيعة على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، حيث لم يصح النقل عنه بذلك، بل الصحيح عكس ذلك تماماً، وهو ما أخرجه أحمد بن حنبل، من طريق عبدالله بن سبع[٢]، قال:

«سمعت علياً يقول: لتخضبن هذه من هذا[٣]، فما ينتظر بي الأشقى[٤].

قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبِرنا بِهِ نبير عُترتَه[٥].

قال: إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي.

= بتقيةٍ من عنده). الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٤٦.

(١) انظر النوبختي: فرق الشيعة ٣٤؛ الأشعري: مقالات الإسلاميين ١٧، ١٩، ٢٤؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ٢٢، ٤٥؛ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية ١/ ١٠٢.

(٢) عبدالله بن سبع الهمداني، كان رسول أهل الكوفة إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما بعد وفاة معاوية رضي الله عنه (تاريخ الطبري ٥/ ٣٥٢) أورده ابن حبان في ثقاته وقال: عبدالله بن سبع، ويقال: ابن سبيع ٥/ ٢٢.

(٣) أي لتخضبن لحيته من دم رأسه. انظر أحمد بن حنبل: المسند (تحقيق أحمد شاكر) ٢/ ١٣٤.

(٤) هذا النعت أطلقه النبي ﷺ على قاتل علي رضي الله عنه، وهو ما أخرجه الطبراني من طريق عثمان بن صهيب عن أبيه، أن النبي ﷺ أنه قال يوماً لعلي رضي الله عنه: «من أشقى الأولين؟» قال: الذي عقر الناقة يا رسول الله، قال: «صدقت، فمن أشقى الآخرين؟» قال: لا أعلم يا رسول الله، قال: «الذي يضربك على هذه» وأشار إلى يافوخه، وقال عنه الهيثمي: فيه رشدين بن سعد وقد وثق، وبقية رجاله ثقات. المعجم الكبير ٨/ ٤٥، مجمع الزوائد ٩/ ١٣٩.

(٥) نبير عُترَته: نهلك أقرباءه. ابن منظور: لسان العرب ٤/ ٥، ٥٣٨.

قالوا: فاستخلف علينا.

قال: لا، ولكن أترككم إلى ما تركككم إليه رسول الله ﷺ.

قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته، قال وكيع[١] مرة: إذا لقيته.

قال: أقول: اللهم تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم»[٢].

«قال أحمد شاكر: إسناده صحيح»[٣]

وأخرجه أيضاً البزار، بإسناد حسن[٤]، من طريق ثعلبة بن يزيد الحماني[٥]، قال:

«قال علي: والذي فلق الحبة[٦]، وبرأ النسمة[٧]، لتخضبن هذه من هذه ـ للحيته من رأسه ـ عما يحبس أشقاها؟

فقال عبدالله بن سبيع: والله يا أمير المؤمنين لو أن رجلاً فعل ذلك أبرنا عترته.

---

(١) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، ثقة حافظ عابد. ابن حجر: التقريب ٥٨١.
(٢) أحمد بن حنبل: المسند (تحقيق أحمد شاكر) ٢/ ٢٤٢.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/ ١٤٠.
(٥) ثعلبة بن يزيد الحماني، صاحب شرطة علي رضي الله عنه، وثقه النسائي. الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٣٧١.
(٦) فالق الحب: خالقه، أو شاقه بإخراج الورق منه. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١١٨٦.
(٧) برأ النسمة: خلق الإنسان. الفيروزأبادي: القاموس المحيط ٤٢، ١٥٠٠.

فقال: أنشدك أن تقتل بي غير قاتلي.

قالوا: يا أمير المؤمنين ألا تستخلف علينا؟

قال: لا، ولكني [أترككم][١] كما تركم رسول الله ﷺ.

قالوا: فماذا تقول لربك إذا أتيته وقد تركتنا هملاً؟

قال: أقول: اللهم استخلفتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني وتركتك فيهم»[٢].

أما بيعة الحسن رضي الله عنه فقد أخرجها ابن سعد في طبقاته بأسانيد أصح من التي عند الطبري وهي كالتالي:

الرواية الأولى:

أ ـ أخبرنا وكيع بن الجراح[٣]، عن يحيى بن مسلم أبي الضحاك[٤]، عن عاصم بن كليب[٥]، عن أبيه[٦] قال:

ب ـ وأخبرنا عبدالله بن نمير[٧]، عن عبدالسلام رجل من بني

---

(١) في الأصل (أترككه) والتصويب من رواية أحمد بن حنبل الواردة قبل هذه الرواية.
(٢) الهيثمي: كشف الأستار عن زوائد البزار ٣/ ٢٠٤.
(٣) وكيع بن الجراح، ثقة حافظ عابد (تقدم).
(٤) يحيى بن مسلم الهمداني أبو الضحاك، وثقه ابن حبان. ابن حبان: الثقات ٧/ ٦١٠.
(٥) عاصم بن كليب بن شهاب، وثقه ابن حبان. ابن حبان: الثقات ٧/ ٢٥٦.
(٦) كليب بن شهاب، وثقه ابن حبان. ابن حبان: الثقات ٥/ ٣٣٧.
(٧) عبدالله بن نمير الهمداني، ثقة صاحب حديث من أهل السنة. ابن حجر: التقريب ٣٢٧.

[مُسْلِيَة][١] عن بيان[٢]، عن عامر الشعبي[٣] قال:

«إن الحسن بن علي صلى على علي بن أبي طالب فكبرَّ عليه أربع تكبيرات، ودُفِن علي بالكوفة عند مسجد الجماعة في الرحبة[٤] مما يلي أبواب كِندة قبل أن ينصرف الناس من صلاة الفجر، ثم انصرف الحسن بن علي من دفنه فدعا الناس إلى بيعته فبايعوه»[٥].

«وقد وردت هذ الرواية بإسنادين صحيحين»

الرواية الثانية:

من طريق ميمون بن مِهران[٦]، قال:

«إن الحسن بن علي بن أبي طالب بايع أهل العراق بعد علي على بيعتين، بايعهم على الإمرة، وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه، ويرضوا بما رضي به»[٧].

«قال المحقق: إسناده حسن»[٨]

---

(١) في الأصل (مسيلمة) والتصويب من ابن حبان حيث أورده في ثقاته، وذكر أنه تلميذ لبيان بين بشر، وشيخ لعبدالله بن نمير، وهو عبدالسلام بن أبي المسلي الحارثي. ابن حبان: الثقات ٨/ ٤٢٧.

(٢) بيان بن بشر الأحمسي، ثقة ثبت. ابن حجر: التقريب ١٢٩.

(٣) عامر بن شراحيل الشعبي، ثقة مشهور فقيه فاضل (تقدم).

(٤) الرحبة: الساحة. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١١٤.

(٥) ابن سعد: الطبقات (تحقيق د. إحسان عباس) ٣/ ٣٧، ٣٨.

(٦) ميمون بن مهران الجزري، ثقة فقيه (تقدم).

(٧) ابن سعد: الطبقات (تحقيق د. محمد السلمي) ١/ ٣١٦، ٣١٧.

(٨) المصدر السابق.

الرواية الثالثة:

من طريق خالد بن مُضرِّب[١]، قال:

«سمعت الحسن بن علي يقول: والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم.

قالوا: ما هو؟

قال: تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت»[٢].

«قال المحقق: إسناده صحيح»[٣]

هذا ويستفاد من الروايتين الثانية والثالثة ابتداء الحسن رضي الله عنه في التمهيد للصلح فور استخلافه، وذلك تحقيقاً منه لنبوّة المصطفى ﷺ[٤].

---

(١) خالد بن مضرِّب العبدي، ذكره ابن حبان في ثقاته. ابن حبان: الثقات ٤/ ٢٠٠.
(٢) ابن سعد: الطبقات (تحقيق د. محمد السلمي) ١/ ٢٨٦، ٢٨٧.
(٣) المصدر السابق.
(٤) انظر تفصيل ذلك في المبحث القادم.

وقوع الصلح بين الحسن ومعاوية رضوان الله عليهما

احتوت الروايات الضعيفة التي أخرجها الطبري عن الصلح على إساءة بالغة لشخص الحسن بن علي رضي الله عنه حيث اتهمته بالسعي للصلح من أجل الدنيا ومتاعها الفاني.

ونظراً لأهمية هذا الحدث فقد أفردته بدراسة مستقلة تأتي في نهاية استعراض مرويات الطبري عن الصلح.

[٤٠] حدثني عبدالله بن أحمد بن شبويه المروزي، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا سليمان، قال: حدثنا عبدالله، بن يونس، عن الزهري، قال:

«جعل علي عليه السلام قيس بن سعد على مقدمته من أهل العراق إلى قبل أذربيجان[١]، وعلى أرضها وشرطه الخميس[٢] الذي ابتدعه

(١) أذربيجان: مملكة عظيمة، الغالب عليها الجبال، وهي جمهورية أذربيجان حالياً، وعاصمتها باكو، ويقع قسم من أذربيجان القديمة داخل إيران حالياً. ياقوت: معجم البلدان ١/١٢٨؛ د. دولت صادق: أطلس العالم الإسلامي ٤٩، ٧٤.

(٢) الخميس: الجيش؛ لأنه خمس فرق، المقدمة، القلب، الميمنة، الميسرة، الساقة. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٦٩٨.

من العرب، وكانوا أربعين ألفاً، بايعوا علياً عليه السلام، واستخلف أهل العراق الحسن بن علي عليه السلام على الخلافة، وكان الحسن لا يرى القتال، ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية، ثم يدخل في الجماعة، وعرف الحسن أن قيس بن سعد لا يوافقه على رأيه، فنزعه وأمَّر عبيدالله بن عباس[١]، فلما علم [عبيدالله][٢] بن عباس بالذي يريد الحسن عليه السلام أن يأخذه لنفسه كتب إلى معاوية يسأله الأمان، ويشترط لنفسه على الأموال التي أصابها، فشرط ذلك له معاوية»[٣].

هذا الخبر أورده عبدالرزاق[٤]، وابن الجوزي[٥] من طريق الزهري بنحوه.

وقد ورد في هذه الرواية، والرواية رقم [٤٦] ذكر لعبيدالله بن عباس رضي الله عنه، وهذا مما تفرد به الزهري حيث إني لم أجد ذكراً لعبيد الله بن عباس في جميع الروايات الصحيحة التي تحدثت عن الصلح مما يثير الشك حول وجود عبيدالله بن عباس في العراق في هذه الفترة.

---

(١) عبيدالله بن عباس بن عبدالمطلب، ابن عم رسول الله ﷺ، من صغار الصحابة كان سخياً جواداً، حج بالناس سنة ٣٦هـ، واستعمله علي رضي الله عنه على اليمن، مات سنة ٥٨هـ وقيل: سنة ٨٧هـ. ابن حجر: الإصابة ٤/ ٣٩٩.

(٢) في الأصل عبدالله، والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) ٥/ ١٥٨.

(٤) المصنف ٥/ ٤٦١.

(٥) المنتظم ٥/ ١٦٦.

[٤١] حدثني موسى بن عبدالرحمن المسروقي، قال: حدثنا عثمان بن عبدالحميد أو ابن عبدالرحمن الحراني الخزاعي أبو عبدالرحمن، قال: حدثنا إسماعيل بن راشد، قال:

«بايع الناس الحسن بن علي عليه السلام بالخلافة، ثم خرج بالناس حتى نزل المدائن، وبعث قيس بن سعد على مقدمته في اثني عشر ألفاً، وأقبل معاوية في أهل الشأم حتى نزل مسكن[١]، فبينا الحسن في المدائن إذ نادى مناد في العسكر: ألا إن قيس بن سعد قد قتل، فانفروا، فنفروا ونهبوا سرادق الحسن عليه السلام حتى نازعوه بساطاً كان تحته، وخرج الحسن حتى نزل المقصورة[٢] البيضاء بالمدائن[٣]، وكان عم المختار بن أبي عبيد[٤] عاملاً على المدائن، وكان اسمه سعد بن مسعود[٥]، فقال له المختار وهو غلام شاب: هل

---

(١) موضع على نهر دجيل المتفرع من نهر دجلة، ويقع إلى الشمال الغربي من مدينة بغداد. انظر: ياقوت: معجم البلدان ٥/ ١٢٧. ليسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ٤٠، ٧٣.

(٢) المقصورة: الدار الواسعة المحصنة، والمقصورة مقام الإمام، وقد سميت كذلك لأنها قصرت على الإمام دون الناس. ابن منظور: لسان العرب ٥/ ١٠٠.

(٣) المدائن: عاصمة الفرس، سمتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن متجاورة، تقع أطلالها حالياً على الضفة الشرقية من نهر دجلة، إلى الجنوب من مركز مدينة بغداد بحوالي ٣٠ كم. الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي ٤٥٧؛ ياقوت: معجم البلدان ٥/ ٧٤، ٧٥.

(٤) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، الكذاب، مدعي النبوة، قتله مصعب بن الزبير بالكوفة سنة ٦٧هـ. الذهبي: السير ٣/ ٥٣٨.

(٥) سعد بن مسعود الثقفي، له صحبة، من أمراء علي رضي الله عنه. ابن حجر: الإصابة ٣/ ٨٣.

لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن، وتستأمن به إلى معاوية، فقال له سعد: عليك لعنة الله، أثب على ابن بنت رسول الله ﷺ فأوثقه! بئس الرجل أنت! فلما رأى الحسن عليه السلام تفرق الأمر عنه بعث إلى معاوية يطلب الصلح، وبعث معاوية إليه عبدالله بن عامر، وعبدالرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبدشمس[١]، فقدما على الحسن بالمدائن، فأعطياه ما أراد، وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف في أشياء اشترطها، ثم قام الحسن في أهل العراق فقال: يا أهل العراق، إنه سخى بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي.

ودخل الناس في طاعة معاوية، ودخل معاوية الكوفة، فبايعه الناس»[٢].

هذا الخبر أورده الطبراني[٣]، وابن الجوزي[٤] من طريق إسماعيل بن راشد بنحوه.

[٤٢] قال الطبري: قال زياد بن عبدالله، عن عوانة؛ وذكر نحو حديث المسروقي، عن عثمان بن عبدالرحمن هذا، وزاد فيه:

---

(١) عبدالرحمن بن سمرة، أسلم يوم فتح مكة، صحب رسول الله ﷺ وروى عنه، غزا خراسان، وافتتح سجستان وكابل، توفي في البصرة سنة ٥١هـ. ابن عبدالبر: الاستيعاب ٢/ ٨٣٥.

(٢) ٥/ ١٥٩، ١١٠.

(٣) المعجم الكبير ١/ ١٠٤، ١٠٥.

(٤) المنتظم ٥/ ١٦٦.

«وكتب الحسن إلى معاوية في الصلح، وطلب الأمان، وقال الحسن للحسين ولعبدالله بن جعفر: إني قد كتبت إلى معاوية في الصلح وطلب الأمان؛ فقال له الحسين: نشدتك الله أن تصدق أحدوثة معاوية، وتكذب أحدوثة علي! فقال له الحسن: اسكت، فأنا أعلم بالأمر منك، فلما انتهى كتاب الحسن بن علي عليه السلام إلى معاوية، أرسل معاوية عبدالله بن عامر وعبدالرحمن بن سمرة، فقدما المدائن، وأعطيا الحسن ما أراد، فكتب الحسن إلى قيس بن سعد وهو على مقدمته في اثني عشر ألفاً يأمره بالدخول في طاعة معاوية، فقام قيس بن سعد في الناس فقال: يا أيها الناس، اختاروا الدخول في طاعة إمام ضلالة، أو القتال مع غير إمام؛ قالوا: لا، بل نختار أن ندخل في طاعة إمام ضلالة، فبايعوا لمعاوية، وانصرف عنهم قيس بن سعد، وقد كان صالح الحسن معاوية على أن جعل له ما في بيت ماله وخراج دارابجرد[١] على ألا يُشتم علي وهو يسمع، فأخذ ما في بيت ماله بالكوفة، وكان فيه خمسة آلاف ألف»[٢].

هذه الرواية لم أقف على من ذكرها غير الطبري.

[٤٣] «وفي هذه السنة[٣] بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء[٤]».

---

(١) دارابجرد: ولاية بفارس، تقع حالياً في وسط إيران. ياقوت: معجم البلدان ٢/ ٤١٩؛ لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ٢٨٨ خارطة رقم ٦.

(٢) ٥/ ١٦٠.

(٣) سنة ٤٠هـ.

(٤) إيلياء: هي مدينة بيت المقدس. ياقوت: معجم البلدان ١/ ٢٩٣.

حدثني بذلك موسى بن عبدالرحمن، قال: حدثنا عثمان بن عبدالرحمن، قال: أخبرنا إسماعيل بن راشد «وكان قبل يدعى بالشام أمير المؤمنين»[١].

هذا الخبر ذكره ابن الأثير[٢] بمثله، بينما اكتفى ابن كثير[٣] بإيراد خبر البيعة وعلق عليه بقوله:

«لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع».

[٤٤] حدثت عن أبي مسهر، عن سعيد بن عبدالعزيز، قال:

«كان علي عليه السلام يدعى بالعراق أمير المؤمنين، وكان معاوية يدعى بالشأم الأمير، فلما قتل علي عليه السلام دعي معاوية أمير المؤمنين»[٤].

هذه الرواية أوردها ابن كثير[٥] بنحوها.

[٤٥] حدثني عبدالله بن أحمد المروزي، قال: أخبرني أبي، قال: حدثنا سليمان، قال: حدثني عبدالله، عن يونس، عن الزهري، قال:

---

(١) ٥/ ١٦١.
(٢) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٠٢، ٤٠٣.
(٣) البداية والنهاية ٨/ ١٦.
(٤) ٥/ ١٦١.
(٥) البداية والنهاية ٨/ ١٦.

«بايع أهل العراق الحسن بن علي بالخلافة، فطفق يشترط عليهم الحسن: إنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت، فارتاب أهل العراق في أمرهم حين اشترط عليهم هذا الشرط، وقالوا: ما هذا لكم بصاحب، وما يريد هذا القتال؛ فلم الحسن عليه السلام بعد ما بايعوه إلا قليلاً حتى طعن طعنة أشوته[١]، فازداد لهم بغضاً، وازداد منهم ذعراً، فكاتب معاوية، وأرسل إليه بشروط، قال: إن أعطيتني هذا فأنا سامع مطيع، وعليك أن تفي لي به، ووقعت صحيفة الحسن في يد معاوية، وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى الحسن بصحيفة بيضاء، مختوم على أسفلها، وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك.

فلما أتت الحسن اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية قبل ذلك، وأمسكها عنده، وأمسك معاوية صحيفة الحسن عليه السلام التي كتب إليه يسال ما فيها، فلما التقى معاوية والحسن عليه السلام، سأله الحسن أن يعطيه الشروط التي شرط في السجل الذي ختم معاوية في أسفله، فأبى معاوية أن يعطيه ذلك، فقال: لك ما كنت كتبت إلي أوَّلاً تسألني أن أعطيكه، فإني قد أعطيتك حين جاءني كتابك. قال الحسن عليه السلام: وأنا قد اشترطت حين جاءني كتابك، وأعطيتني العهد على الوفاء بما فيه. فاختلفا في ذلك، فلم ينفذ للحسن عليه السلام من الشروط شيئاً، وكان عمرو بن العاص حين اجتمعوا بالكوفة قد كلم

---

(١) أشوته: أصابته في غير مقتل. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٦٧٨.

معاوية، وأمره أن يأمر الحسن أن يقوم ويخطب الناس، فكره ذلك معاوية، وقال: ما تريد إلى أن يخطب الناس! فقال عمرو: لكني أريد أن يبدو عيه للناس؛ فلم يزل عمرو بمعاوية حتى أطاعه، فخرج معاوية فخطب الناس، ثم أمر رجلاً فنادى الحسن بن علي عليه السلام؛ فقال: قم يا حسن فكلم الناس، فتشهد في بديهة أمرٍ لم يرو فيه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإن الله قد هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا دول، وإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[١]، فلما قالها قال معاوية: اجلس، فلم يزل ضرماً[٢] على عمرو، وقال: هذا من رأيك، ولحق الحسن عليه السلام بالمدينة»[٣].

هذه الرواية أوردها ابن عساكر[٤] من طريق الزهري بنحوها، وأوردها ابن الجوزي[٥] مختصرةً.

[٤٦] حدثني عبدالله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني سليمان بن [صالح][٦]، قال: حدثني عبدالله، عن يونس، عن الزهري، قال:

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (١١١).
(٢) ضرماً: احتدم غضباً. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٤٦٠.
(٣) ٥/ ١٦٢، ١٦٣.
(٤) تاريخ دمشق (مخطوط) ٤/ ٥٣٩، ٥٤١.
(٥) المنتظم ٥/ ١٨٣.
(٦) في الأصل سليمان بن الفضل، والتصويب من الطبري: التاريخ ٥/ ٣٣٢؛ أبوزرعة الدمشقي: التاريخ ١/ ٢٢٩.

«لما كتب عبيدالله بن عباس ـ حين علم ما يريد الحسن من معاوية من طلب الأمان لنفسه ـ إلى معاوية يسأله الأمان، ويشترط لنفسه على الأموال التي قد أصاب، فشرط ذلك له معاوية، بعث إليه معاوية ابن عامر في خيلٍ عظيمة، فخرج إليهم عبيدالله ليلاً حتى لحق بهم، ونزل وترك جنده الذي هو عليه لا أمير لهم، فيهم قيس بن سعد، واشترط الحسن عليه السلام لنفسه، ثم بايع معاوية، وأمَّرت شرطة الخميس قيس بن سعد على أنفسهم، وتعاهدوا هو وهم على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة علي عليه السلام ولمن كان اتبعه على أموالهم ودمائهم، وما أصابوا في الفتنة؛ فخلص معاوية حين فرغ من عبيد الله بن عباس والحسن عليه السلام إلى مكايدة رجل هو أهم الناس عنده مكايدة، ومعه أربعون ألفاً، وقد نزل معاوية بهم وعمرو وأهل الشام، وأرسل معاوية إلى قيس بن سعد يذكره الله ويقول: على طاعة من تقاتل، وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك؟ فأبى قيس أن يلين له، حتى أرسل إليه معاوية بسجل قد ختم عليه في أسفله، فقال: اكتب في هذا السجل ما شئت، فهو لك، قال عمرو لمعاوية: لا تعطه هذا، وقاتله، فقال معاوية: على رسلك! فإنا لا نخلص إلى قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام، فما خير العيش بعد ذلك! وإني والله لا أقاتله أبداً حتى لا أجد من قتاله بداً، فلما بعث إليه معاوية بذلك السجل اشترط قيس فيه له ولشيعة علي الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل معاوية في سجله ذلك مالاً، وأعطاه معاوية ما سأل، فدخل قيس ومن معه في طاعته، وكانوا يعدون دهاة الناس حين

ثارت الفتنة خمسة رهط، فقالوا: ذوو رأي العرب ومكيدتهم: معاوية ابن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وقيس بن سعد، ومن المهاجرين عبدالله بن بديل الخزاعي[١]؛ وكان قيس وابن بديل مع علي عليه السلام، وكان المغيرة بن شعبة وعمرو مع معاوية، إلا أن المغيرة كان معتزلاً بالطائف حتى حكم الحكمان، فاجتمعوا بأذرح»[٢].

هذه الرواية أوردها عبدالرزاق[٣] من طريق الزهري بمثلها، وابن الأثير[٤] بمثلها.

[٤٧] «لما وقع الصلح بين الحسن عليه السلام وبين معاوية بمسكن، قام» ـ فيما حدثت عن زياد البكائي، عن عوانة ـ «خطيباً في الناس فقال: يا أهل العراق، إنه سخى بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي، قال: ثم إن الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر خرجوا بحشمهم وأثقالهم حتى أتوا الكوفة، فلما قدمها الحسن وبرأ من جراحته، خرج إلى مسجد الكوفة فقال: يا أهل الكوفة اتقوا الله في جيرانكم وضيفانكم، وفي أهل بيت نبيكم ﷺ

(١) عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، صحابي، سيد خزاعة، شهد مع الرسول ﷺ حنين والطائف وتبوك، قتل في صفين مع علي رضي الله عنه. ابن عبدالبر: الاستيعاب ٣/ ٨٧٢.
(٢) ٥/ ١٦٣، ١٦٤.
(٣) المصنف ٥/ ٤٦١ ـ ٤٦٣.
(٤) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٠٨، ٤٠٩.

الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فجعل الناس يبكون، ثم تحملوا إلى المدينة، قال: وحال أهل البصرة بينه وبين خراج دارابجرد؛ وقالوا: فيئنا، فلما خرج إلى المدينة تلقاه ناس بالقادسية[١] فقالوا: يا مذل العرب!»[٢].

هذه الرواية لم أقف على من ذكرها غير الطبري، لكن ما فيها ورد مفرقاً عند ابن سعد[٣].

[٤٨] حدثني عمر، قال: حدثني علي بن محمد، قال:

«سلم الحسن بن علي عليه السلام إلى معاوية الكوفة، ودخلها معاوية لخمس بقين من ربيع الأول، ويقال: من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين»[٤].

نقد النصوص

قال أبو سلمة التبوذكي[٥] رحمه الله في معرض الإشادة بجمع عثمان بن عفان رضي الله عنه القرآن:

---

(١) القادسية: مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه، وهي باب فارس في الجاهلية، تقع على حافة البادية، وحافة سواد العراق، وبها كانت الوقعة المشهورة أيام عمر رضي الله عنه، وهي قريبة من الكوفة، وتعتبر أول منازل طريق الحاج العراقي للخارج من الكوفة. الطبري: التاريخ ٣/ ٤٩١؛ أبو الفداء: تقويم البلدان ٢٩٩.

(٢) ٥/ ١٦٥.

(٣) الطبقات (تحقيق د. محمد السلمي) ١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٥.

(٤) ٥/ ١٦٣.

(٥) هو موسى بن إسماعيل المنقري، مشهور بكنيته وباسمه، ثقة ثبت، من صغار الطبقة التاسعة، مات سنة ٢٢٣هـ، أخرج له الستة. ابن حجر: التقريب ٥٤٩.

«وكان في جمعه القرآن كأبي بكر في الردة»[١].

قلت: وكذلك كان الحسن رضوان الله عليه في صلحه مع معاوية رضي الله عنه، وحقنه لدماء المسلمين، كعثمان في جمعه القرآن، وكأبي بكر في الردة.

ولا أدل على ذلك من كون هذا الفعل من الحسن يعد علماً من أعلام النبوة، والحجة في ذلك ما أخرجه البخاري من طريق أبي بكرة[٢] رضي الله عنه قال:

«رأيت رسول الله ﷺ على المنبر ـ والحسن بن علي إلى جنبه ـ وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول:

إن ابني هذا سيدٌ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[٣].

إن صلح الحسن مع معاوية رضي الله عنهما من الأحداث العظام في تاريخ الأمة الإسلامية، وقد أسهم في تبوُّءِ هذا الحدث لهذه المنزلة عدة أسباب منها:

١ـ كونه علماً من أعلام النبوة.

---

(١) الخلال: السنة ٣٢٢.

(٢) هو نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي، صحابي مشهور بكنيته، أسلم يوم الطائف، ثم نزل البصرة ومات بها سنة إحدى أو اثنتين وخمسين هجرية، أخرج له الستة. ابن عبدالبر: الاستيعاب ٤/ ١٦١٤؛ ابن حجر: التقريب ٥٦٥.

(٣) البخاري: صحيح البخاري مع البخاري مع الفتح ٥/ ٣٦١.

٢ـ إن من ثمار هذا الصلح حقن دماء المسلمين وجمع كلمتهم على إمام واحد بعد سنوات من الفرقة.

٣ـ كون الحسن رضي الله عنه أول خليفة يتنازل عن منصبه ويخلع نفسه طواعية، وبدون أي ضغوط، ومن مركز قوة لا من مركز ضعف، من أجل إصلاح ذات بين المسلمين.

٤ـ كون الحسن رضي الله عنه آخر خلفاء مرحلة النبوة.

من أجل هذه الأسباب وغيرها امتلأت كتب العقيدة والسنة والتاريخ والأدب وغيرها من المصادر بأخبار صلح الحسن مع معاوية رضي الله عنهما.

والقارىء لتلك المصادر ـ بما فيها تاريخ الطبري ـ يلاحظ كثرة روايات الصلح وتضاربها مع بعضها واختلاط ضعيفها بصحيحها وتشابه بعض أحداثها، يضاف إلى ذلك عدم مراعاة المصادر للترتيب الزمني لوقوع الحدث، مع أن التسلسل الزمني لمجريات الصلح يعد بالغ الأهمية لفهم هذا الحدث.

لذا فقد قمت بدراسة تلك المصادر واستخراج الروايات الصحيحة منها واعتمادها في ترتيب أحداث الصلح ترتيباً زمنياً، كما استفدت من بعض الروايات الضعيفة المتوافقة مع الروايات الصحيحة ـ وفقاً للمنهج الذي بينته في مقدمة الرسالة ـ من أجل استكمال تفاصيل هذا الحدث.

هذا وقد قسمت خبر الصلح إلى عدة مراحل هي:

المرحلة الأولى:

دعوة الرسول ﷺ للحسن بأن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، فتلك الدعوة المباركة هي التي دفعت الحسن رضي الله عنه إلى الإقدام على الصلح بكل ثقة وتصميم.

المرحلة الثانية:

شرط البيعة الذي وضعه الحسن رضي الله عنه أساساً لقبوله مبايعة أهل العراق له، ذلك الشرط الذي نص على أنهم يسالمون من يسالم ويحاربون من يحارب[١].

المرحلة الثالثة:

وقوع المحاولة الأولى لاغتيال الحسن رضي الله عنه بعد أن كشف عن نيته في الصلح مع معاوية رضي الله عنه.

وهذه المحاولة يبدو أنها قد جرت بعد استخلافه بقليل، وهو ما أشارت إليه الروايات التالية: ما أخرجه ابن سعد في طبقاته من طريق أبي جميلة[٢]:

«أن الحسن بن علي لما استخلف حين قتل علي، فبينما هو يصلي

---

(١) انظر نصوص شرط البيعة في مبحث بيعة الحسن.

(٢) ميسرة بن يعقوب، أبو جميلة الطهوي الكوفي، صاحب راية علي. ذكره ابن حبان في ثقاته ٥/٤٢٧؛ ابن حجر: التهذيب ١٠/١٨٧.

إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر ـ وزعم حصين[١] أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد ـ وحسن ساجد، قال حصين: وعمي أدرك ذاك، قال: فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه، فمرض منها أشهراً ثم برىء، فقعد على المنبر فقال:

يا أهل العراق، اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وضيفانكم، أهل البيت الذين قال الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢] قال:

فما زال يقول ذلك حتى ما رؤي أحدٌ من أهل المسجد إلا وهو يخن[٣] بكاء»[٤].

«قال المحقق: إسناده حسن حيث توبع»[٥]

وما أخرجه ابن سعد في طبقاته من طريق هلال بن يساف[٦] قال: «سمعت الحسن بن علي وهو يخطب وهو يقول:

---

(١) حصين بن عبدالرحمن السلمي، أبو الهذيل الكوفي، ثقة، من الطبقة الخامسة، مات سنة ١٣٦هـ وله ثلاث وتسعون. أخرج له الستة. ابن حجر: التقريب ١٧٠.

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٣٣).

(٣) الخنين: البكاء في الأنف. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٥٤١.

(٤) ابن سعد: الطبقات (تحقيق د. محمد السلمي) ١/ ٣٢٣.

(٥) المصدر السابق.

(٦) هلال بن يساف الأشجعي، مولاهم، الكوفي، ثقة، من الطبقة الثالثة، أخرج له البخاري حديثه معلقاً، وأخرج له مسلم والأربعة. ابن حجر: التقريب ٥٧٦.

يا أهل الكوفة، اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وإنا أضيافكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.

قال: فما رأيت يوماً قط أكثر باكياً من يؤمئذ»[١].

«قال المحقق: إسناده صحيح»[٢]

المرحلة الرابعة:

خروج الحسن رضي الله عنه بجيش العراق من الكوفة إلى المدائن، وإرساله للقوة الضاربة من الجيش وهي شرطة الخميس إلى مسكن بقيادة قيس بن سعد بن عبادة[٣].

وقد أشار ابن سعد في طبقاته إلى ذلك في الرواية التي أخرجها من طريق الشعبي، قال:

«بايع أهل العراق بعد علي بن أبي طالب الحسن بن علي، ثم قالوا له: سر إلى هؤلاء القوم الذين عصوا الله ورسوله وارتكبوا العظيم وابتزوا[٤] الناس أمورهم، فإنا نرجو أن يمكن الله منهم، فسار الحسن إلى أهل الشام، وجعل على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة، في اثني

---

(١) ابن سعد: الطبقات (تحقيق د. محمد السلمي) ١/ ٣٨١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) ابن سعد: الطبقات (تحقيق د. محمد السلمي) ١/ ٣٢١؛ وانظر رواية الطبري رقم (٤١).
(٤) الابتزاز: أخذ الشيء بجفاء وقهر. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٦٤٧.

عشر ألفاً، وكانوا يسمون شرطة الخميس»[١].

«قال المحقق: إسناده لا بأس به»[٢]

من خلال الرواية السابقة يتضح أن أهل العراق هم الذين دفعوا الحسن رضي الله عنه إلى الخروج لقتال أهل الشام من غير رغبة منه، وهذا الأمر قد أشار إليه ابن كثير رحمه الله بقوله:

«ولم يكن في نية الحسن أن يقاتل أحداً، ولكن غلبوه على رأيه، فاجتمعوا اجتماعاً عظيماً لم يُسمع بمثله، فأمَّر الحسن بن علي، قيس بن سعد بن عبادة على المقدمة في اثني عشر ألفاً بين يديه، وسار هو بالجيوش في أثره قاصداً بلاد الشام ليقاتل معاوية وأهل الشام، فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدَّم المقدمة بين يديه»[٣].

أما تأريخ خروج الحسن من الكوفة إلى المدائن فقد ورد عند الطبري في أحداث سنة ٤٠هـ وحيث إن الحسن رضي الله عنه قد بويع في شهر رمضان من سنة ٤٠هـ[٤] ـ كما سبق تبيانه في مبحث البيعة ـ فمعنى ذلك أنه خرج من الكوفة في شهر ذي الحجة من سنة ٤٠هـ على أقصى تقدير.

ولكن هذا التاريخ يكدره أن شهر ذي الحجة من الأشهر الحرم[٥]

---

(١) ابن سعد: الطبقات (تحقيق د. محمد السلمي) ١/ ٣١٩ ـ ٣٢١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ١٤.
(٤) التاريخ ٥/ ١٥٩.
(٥) قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ =

وكذلك شهر ذي القعدة.

بقي إذاً شهر شوال، وهذا التاريخ أيضاً لا يمكن الخروج فيه؛ لأن الحسن رضي الله عنه قد أصيب إصابةً بليغة من جراء المحاولة الأولى لاغتياله كما مر معنا.

لذا فإني أرجح أن خروج الحسن رضي الله عنه من الكوفة كان في شهر صفر من السنة التالية وهي سنة ٤١هـ وذلك لسببين:

١ـ أن شهر محرم من الأشهر الحرم.

= ﴿وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ التوبة ٣٦، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم: ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» البخاري: صحيح البخاري مع الفتح ٨/ ١٧٥، قال ابن كثير رحمه الله: «وقوله تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ فهذا مما كانت العرب أيضاً في الجاهلية تحرمه... وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ أي في هذه الأشهر المحرمة لأنها آكد وأبلغ في الإثم من غيرها، كما أن المعاصي في البلد الحرام تضاعف... وكذلك الشهر الحرام تغلظ فيه الآثام... وقال ابن عباس: فلا تظلموا فيهن أنفسكم، في كلهن، ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حراماً وعظم حرماتهن. وجعل الذنب فيهن أعظم. والعمل الصالح والأجر أعظم.

وقال قتادة: إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء» ابن كثير: التفسير ٢ ـ ٣٦٩.

وقال ابن حجر رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾: أي في الأربعة باستحلال القتال. وقيل بارتكاب المعاصي، ابن حجر: فتح الباري ٨/ ١٧٥.

٢ـ كون صلح الحسن مع معاوية رضي الله عنهما قد وقع في شهر ربيع الأول من سنة ٤١هـ.

المرحلة الخامسة:

خروج معاوية رضي الله عنه من الشام وتوجهه إلى العراق، وفي ذلك يقول ابن سعد في طبقاته:

«وأقبل معاوية في أهل الشام يريد الحسن حتى نزل جسر منبج[١]»[٢].

ثم أضاف قائلاً: «فأقبل من جسر منبج إلى مسكن في خمسة أيام وقد دخل يوم السادس»[٣].

أما تأريخ خروج معاوية رضي الله عنه من العراق إلى الشام فقد أورده الطبري في أحداث سنة ٤٠هـ[٤]، وهذا التاريخ لا يصح إذ يرد عليه من الإشكال ما ورد في حق خروج الحسن رضي الله عنه من الكوفة إلى المدائن[٥].

ويضاف إليه أيضاً أن معاوية كان قد أصيب إصابةً بليغة من جراء محاولة الاغتيال التي تعرض لها من قبل الخارجي البرك بن عبدالله

---

(١) جسر منبج: قرية في الجزيرة الفراتية، من قرى الفرات. د. صلاح الدين المنجد: معجم أماكن الفتوح ٧٠٧.
(٢) ابن سعد: الطبقات (تحقيق د. محمد السلمي) ١/ ٣٢١.
(٣) المصدر السابق: ١/ ٣٢٣.
(٤) تاريخ الطبري ٥/ ١٥٩.
(٥) انظر المرحلة الرابعة.

التميمي[١]، حين خرج لصلاة الفجر، وهي المحاولة التي نفذت في نفس فجر اليوم الذي اغتيل فيه علي رضي الله عنه[٢]، وهو فجر يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠هـ على الصحيح المشهور من الأقوال[٣].

وقد أشار الخلاَّل إلى شدة إصابة معاوية رضي الله عنه في الرواية التي أخرجها من طريق جندب[٤] قال:

«كنا مع سعد بن أبي وقاص في ركب فنزل سعد ونزلت واغتنمت نزوله قال: فجعلت أمشي إلى جانبه فحمدت الله وأثنيت عليه وقلت: إن معاوية طعن طعناً بيّناً لا أراها إلا قاتلته، وإن الناس[٥] قاتلون بقية أصحاب الشورى، وبقية أصحاب رسول الله ﷺ فأنشدك الله إن وليت شيئاً من أمرهم، أو تشق عصاهم وأن تفرق جمعهم، أو تدعوهم إلى أمر مهلكة.

---

(١) اسمه الحجاج بن عبدالله الصريمي، ويعرف بالبرك، من بني تميم، قيل إنه أول من حكم ولفظ بالحكومة ـ لا حكم إلا لله ـ، قطعت يده ورجله بعد هذه المحاولة الفاشلة ونفي إلى البصرة فقتله زياد حين ولي البصرة، وقيل بل قطعت يداه ورجلاه، وقيل بل أمر به معاوية رضي الله عنه فقتل. انظر: الكامل للمبرد ١١٠٦/٣، ١١٢٢؛ تاريخ الطبري ١٤٩/٥.

(٢) انظر ابن سعد: الطبقات (تحقيق: د. إحسان عباس) ٣٥/٣ ـ ٣٧؛ الطبري: التاريخ ١٤٣/٣، ١٤٩.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٣٣١/٧.

(٤) جندب بن عبدالله بن سفيان البجلي، صحابي، مات بعد الستين، أخرج له الستة. ابن حجر: التقريب ١٤٢.

(٥) يقصد الخوارج.

فحمد سعد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فوالله لا أشق عصاهم ولا أُفَرِّق جمعهم، ولا أدْعُهُم إلى أمر هلكةٍ حتى يأتوني بسيف يقول: يا سعد هذا مؤمن فدعه، وهذا كافر فاقتله»[١].

«قال المحقق: إسناده صحيح»[٢]

لذا فإني أرجح أن خروج معاوية من الشام إلى العراق كان بعد أن وصل إليه خبر خروج الحسن من الكوفة إلى المدائن.

المرحلة السادسة:

تبادل الرسل بين الحسن ومعاوية، ووقوع الصلح بينهما رضوان الله عليهما.

لقد سجل الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه تلك اللحظات الحرجة من تاريخ الأمة المسلمة حين التقى الجمعان، جمع أهل الشام وجمع أهل العراق، وذلك في الرواية التي أخرجها من طريق الحسن البصري[٣]، قال:

«استقبل ـ والله ـ الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لاتولي حتى تقتل أقرانها.

---

(١) الخلال: السنة (تحقيق د. عطية الزهراني) ٤٧٤، ٤٧٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحسن بن يسار البصري، الأنصاري، مولاهم، ثقة فاضل مشهور، رأس أهل الطبقة الثالثة، مات سنة ١١٠هـ وقد قارب التسعين، أخرج له الستة. ابن حجر: التقريب ١٦٠.

فقال له معاوية ـ وكان والله خير الرجلين ـ: أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، مَنْ لي بأمور الناس، مَنْ لي بنسائهم، مَنْ لي بضيعتهم[١]؟

فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبدشمس ـ عبدالرحمن بن سمرة، وعبدالله بن عامر بن كريز ـ فقال:

اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه[٢]، وقولا له[٣]، واطلبا إليه[٤].

فَأَتَياهُ، فدخلا عليه، فتكلما، وقالا له، وطلبا إليه.

فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبدالمطلب قد أصبنا من هذا المال[٥]، وإن هذه الأمة[٦] قد عاثت في دمائها[٧].

---

(١) قال ابن حجر رحمه الله: (يشير ـ يقصد معاوية ـ إلى أن رجال العسكرين معظم من في الإقليمين، فإذا قُتِلوا ضاع أمر الناس وفسد حال أهلهم بعدهم وذراريهم، والمراد بقوله: (ضيعتهم) الأطفال والضعفاء، سموا باسم ما يؤول إليه أمرهم، لأنهم إذا تركوا ضاعوا لعدم استقلالهم بأمر المعاش). ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٦٩.

(٢) أي ما شاء من المال. ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٦٩.

(٣) أي في حقن دماء المسلمين بالصلح. ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٦٩.

(٤) أي اطلبا منه خلعه نفسه من الخلافة، وتسليم الأمر لمعاوية، وابذلا له في مقابلة ذلك ما شاء. ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٦٩.

(٥) أي إنا جُبلنا على الكرم، والتوسعة على أتباعنا من الأهل والموالي، وكنا نتمكن من ذلك بالخلافة، حتى صار ذلك لنا عادة. ويحتمل أن يكون قوله: (أصبنا من هذا المال) أي فرَّقنا منه في حياة علي وبعده، ما رأينا في ذلك صلاحاً، فنبه على ذلك خشية أن يرجع عليه بما تصرف فيه. ابن حجر: الفتح ١٣/ ٦٩، ٧٠.

(٦) أي المعسكرين الشامي والعراقي. ابن حجر: الفتح ١٣/ ٧٠.

(٧) أي تقاتل بعضها بعضاً فلا يكفون عن ذلك إلا بالصلح عما مضى منهم، والتألف بالمال. وأراد الحسن بذلك كله تسكين الفتنة. وتفرقة المال على من لا يرضيه =

قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك.

قال: فمن لي بهذا[١]؟

قالا: نحن لك به[٢].

فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به، فصالحه.

فقال الحسن[٣]: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر ـ والحسن بن علي إلى جنبه ـ وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول:

«إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[٤].

هذا وقد تحدث ابن حجر رحمه الله عن الفوائد المستنبطة من رواية الصلح فقال[٥]:

«ـ وفي هذه القصة من الفوائد علم من أعلام النبوة.

= إلا المال، فوافقاه على ما شرط من جميع ذلك والتزما له من المال في كل عام، والثياب، والأقوات، ما يحتاج إليه لكل من ذكر. ابن حجر: الفتح ١٣/ ٧٠.

(١) أي من يضمن لي الوفاء من معاوية. ابن حجر: الفتح ١٣/ ٧٠.

(٢) أي نحن نضمن؛ لأن معاوية كان فوض لهما ذلك. ابن حجر: الفتح ١٣/ ٧٠.

(٣) هو الحسن البصري.

(٤) البخاري: صحيح البخاري مع الفتح ٥/ ٣٦١.

(٥) ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٧١، ٧٢.

ـ ومنقبة للحسن بن علي؛ فإنه ترك الملك لا لقلة، ولا لذلة، ولا لعلة، بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة.

ـ وفيها رد على الخوارج الذين كانوا يكفرون علياً ومن معه، ومعاوية ومن معه، بشهادة النبي ﷺ للطائفتين بأنهم من المسلمين.

ـ وفيه فضيلة الإصلاح بين الناس، ولا سيما في حقن دماء المسلمين.

ـ ودلالة على رأفة معاوية بالرعية، وشفقته على المسلمين، وقوة نظره في تدبير الملك، ونظره في العواقب.

ـ وفيه ولاية المفضول الخلافة مع وجود الأفضل؛ لأن الحسن ومعاوية ولي كل منهما الخلافة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد في الحياة وهما بدريان.

ـ وفيه جواز خلع الخليفة نفسه إذا رأى في ذلك صلاحاً للمسلمين، والنزول عن الوظائف الدينية والدنيوية بالمال، وجواز أخذ المال على ذلك وإعطائه، بعد استيفاء شرائطه، بأن يكون المنزول له أولى من النازل، وأن يكون المبذول من مال الباذل.

فإن كان في ولاية عامة وكان المبذول من بيت المال اشترط أن تكون المصلحة في ذلك عامة».

كما أخرج ابن سعد رحمه الله رواية لا تقل أهمية عن رواية

البخاري في الصلح، وتعد مكملة لها، وهي من طريق عمرو بن دينار[١]:

«إن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة، فلما توفي علي بعث إلى الحسن فأصلح الذي بينه وبينه سراً، وأعطاه معاوية عهداً إن حدث به حدث والحسن حي لَيُسَمِّيَنَّه»[٢]، وليجعلن هذا الأمر إليه.

فلما توثق منه الحسن، قال ابن جعفر[٣]:

والله إني لجالس عند الحسن إذ أخذت لأقوم فجذب بثوبي وقال: اقعد يا هَناهُ[٤]، اجلس، فجلست.

قال: إني قد رأيت رأياً وأحب أن تتابعني عليه.

قال: قلت: ما هو؟

قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلي بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسقطت فيها الدماء، وقطعت فيها الأرحام، وقطعت السبل، وعُطِّلت الفروج - يعني الثغور -.

فقال ابن جعفر: جزاك الله عن أمة محمد فأنا معك على هذا الحديث.

---

(١) عمرو بن دينار المكي، الجمحي مولاهم، ثقة ثبت، من الطبقة الرابعة، مات سنة ١٢٦هـ، أخرج له الستة. ابن حجر: التقريب ٤٢١.

(٢) أي: يرشحه للخلافة من بعده.

(٣) هو: عبدالله بن جعفر رضي الله عنه.

(٤) يا هَنَاهُ: يا رجل. ابن منظور: لسان العرب ١٣/٤٣٨.

فقال الحسن: ادع لي الحسين، فبعث إلى الحسين فأتاه فقال: يا أخي إني قد رأيت رأياً وإني أحب أن تتابعني عليه.

قال: ما هو؟

قال: فقص عليه الذي قال لابن جعفر.

قال الحسين: أعيذك بالله أن تكذب علياً في قبره وتصدق معاوية.

قال الحسن: والله ما أردت أمراً قط إلا خالفتني إلى غيره، والله لقد هممت أن أقذفك في بيت فأطينه عليك حتى أقضي أمري.

قال: فلما رأى الحسين غضبه قال: أنت أكبر ولد علي، وأنت خليفته، وأمرنا لأمرك تبع، فافعل ما بدا لك»[١].

«قال المحقق: إسناده صحيح»[٢]

ويلاحظ على روايتي البخاري وابن سعد اتفاقهما على أن معاوية رضي الله عنه كان صاحب المبادرة في الاتصال بالحسن رضي الله عنه وعرض الصلح عليه.

وفي ذلك يقول ابن بطال[٣] معلقاً على رواية البخاري:

---

(١) ابن سعد: الطبقات (تحقيق د. محمد السلمي) ١/ ٣٣٠ ـ ٣٣١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) علي بن خلف بن بطال، نزيل الأندلس، شارح صحيح البخاري، توفي سنة ٤٤٩هـ. الذهبي: السير ١٨/ ٤٧.

«هذا يدل على أن معاوية كان هو الراغب في الصلح، وأنه عرض على الحسن المال ورغبه فيه، وحثه على رفع السيف، وذكره ما وعده جده ﷺ من سيادته في الإصلاح به»[١].

وهنا قد يسأل سائل: من المبادر إلى الصلح، أهو الحسن رضي الله عنه ـ الذي ورد حديث الرسول في الصلح بحقه، والذي كاد أن يقتل في المحاولة الأولى لاغتياله بسبب شرط البيعة الذي اشترطه على أهل العراق والذي يفهم منه عزمه على صلح معاوية ـ أم معاوية رضي الله عنه؟

وجواب ذلك: أن الرغبة في الصلح كانت موجودة لدى الطرفين، فقد سعى الحسن رضي الله عنه إلى الصلح، وخطط له منذ اللحظات الأولى لمبايعته، ثم جاء معاوية فأكمل ما بدأه الحسن، فكان عمل كل واحد منهما مكملاً للآخر رضوان الله عليهم أجمعين.

المرحلة السابعة:

المحاولة الثانية لاغتيال الحسن رضي الله عنه:

بعد نجاح مفاوضات الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما، شرع الحسن رضي الله عنه في تهيئة نفوس أتباعه على تقبل الصلح الذي تم، فقام فيهم خطيباً ليبين لهم ما تم بينه وبين معاوية، وفيما هو يخطب هجم عليه بعض معسكره محاولين قتله، لكن الله

(١) ابن حجر: فتح الباري ١٣/٦٩.

سبحانه وتعالى أنجاه هذه المرة ـ وهي المحاولة الثانية لاغتيال الحسن ـ كما أنجاه في المرة الأولى.

وقد أورد البلاذري خطبة الحسن التي ألقاها في أتباعه، ومحاولة قتله رضي الله عنه، فقال:

«إني أرجو أن أكون أنصح خلقه لخلقه، وما أنا محتمل على أحد ضغينة، ولا حقداً، ولا مريداً به غائلة، ولا سوءاً، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردوا علي، غفر الله لي ولكم.

فنظر بعض الناس إلى بعض وقالوا: عزم والله على صلح معاوية، وضعف وخار.

وشدوا على فسطاطه، فدخلوه، وانتزعوا مصلاه من تحته، وانتهبوا ثيابه.

ثم شد عليه عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي جعال الأزدي[1]، فنزع مطرفه[2] عن عاتقه، فبقي متقلداً سيفه، فَدُهِش ثم رجع ذِهْنُهُ، فركب فرسه، وأطاف به الناس، فبعضهم يعجزه ويضعفه، وبعضهم ينحي أولئك عنه، ويمنعهم منه.

---

(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) أي: رداءه. الفيروزأبادي: القاموس المحيط ١٠٧٥.

وانطلق رجل من بني أسد بن خزيمة من بني نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، يقال له، الجراح بن سنان[١]، ـ وكان يرى رأي الخوارج ـ إلى مظلم ساباط[٢]، فقعد له فيه ينتظره، فلما مر الحسن، ودنا من دابته فأخذ بلجامها، ثم أخرج معولاً[٣] كان معه، وقال:

أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل، وطعنه بالمعول في أصل فخذه، فشق في فخذه شقاً كاد يصل إلى العظم.

وضرب الحسن وجهه، ثم اعتنقا وخرا إلى الأرض، ووثب عبدالله بن الخضل الطائي[٤] فنزع المعول من يد الجراح، وأخذ ظبيان ابن عمارة التميمي[٥] بأنفه فقطعه، وضرب بيده إلى قطعة آجرة فشدخ بها وجهه ورأسه حتى مات، وحُمل الحسن إلى المدائن... ثم إن

---

(١) الجراح بن سنان الأسدي، له سابقة في الشر، حيث كان من الذين بهتوا سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه وسعوا في عزله عن الكوفة أيام خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدعى عليهم سعد، فكان لهم من سوء الخاتمة نصيب. تاريخ الطبري ٤/ ١٤١.

(٢) الساباط عند العرب: سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ، وساباط المدائن موضع على الضفة الغربية لنهر دجلة، ومظلم: موضع هناك. انظر: ياقوت معجم البلدان ٣/ ١٦٦، ٥/ ١٥٢؛ الحميري: الروض المعطار ٢٩٧.

(٣) المعول: حديدة ينقر بها الصخر. الفيروزأبادي: القاموس المحيط ١٣٤٠.

(٤) عبدالله بن الخضل الطائي، كان فارساً شاعراً، قاتل مع التوابين الذين خرجوا للطلب بدم الحسين رضي الله عنه سنة ٦٥هـ. تاريخ الطبري ٥/ ٦٠٠ ـ ٦٠١.

(٥) ظبيان بن عمارة التميمي، يروي عن علي رضي الله عنه، من تابعي أهل الكوفة. ابن سعد: الطبقات (تحقيق د. إحسان عباس) ٦/ ٢٢٩.

سعد بن مسعود أتى الحسن بطبيب، وقام عليه حتى بَرِىء، وحوله إلى أبيض المدائن[١]»[٢].

وقد أورد هذه الرواية أبو حنيفة الدينوري[٣]، وأبو الفرج الأصفهاني[٤]، بنحو رواية البلاذري.

وقد يعترض معترض بشأن خطبة الحسن رضي الله عنه وأنها وردت عند البلاذري، وأبي حنيفة الدينوري، وأبي الفرج الأصفهاني، قبل صلح الحسن ومعاوية رضي الله عنهما، وجواب ذلك:

أن ماورد في رواية البخاري من وصف لجيش الحسن، يفيد قوة جيش الحسن وتماسكه مما يعني أن جيش العراق قد قابل جيش الشام وهو في أحسن حالاته المادية والمعنوية.

وحيث إن جيش أهل العراق قد اضطرب حاله بعد خطبة الحسن فإن هذا يعني انتفاء مقابلة جيش العراق لجيش الشام بعد الخطبة.

لذا فإن الأقرب للواقع أن خطبة الحسن في معسكره كانت بعد التقاء الجيشين العراقي والشامي، وبعد وقوع الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما.

---

(١) يسمى القصر الأبيض، يقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة. الحميري: الروض المعطار ٩.
(٢) البلاذري: أنساب الأشراف (مخطوط) ٤٤٤ ـ ٤٤٥.
(٣) الأخبار الطوال ٢١٦ ـ ٢١٧.
(٤) مقاتل الطالبيين ٦٣ ـ ٦٤.

هذا بالإضافة إلى أن خطبة الحسن هذه كانت مدخلاً وتمهيداً منه رضي الله عنه لإخبار أتباعه بالصلح الذي تم بينه وبين معاوية.

وهذا ما تبينه الروايات التالية:

ما أخرجه ابن سعد من طريق رياح بن الحارث[١]:

«إن الحسن بن علي قام بعد وفاة علي رضي الله عنهما، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إن كل ما هو آت قريب، وإن أمر الله واقع، وإن كره الناس، وإني والله ما أحببت أن ألي من أمر أمة محمد ما يزن مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة من دم، قد علمت ما يضرني مما ينفعني، فالحقوا بطيتكم[٢]»[٣].

«قال المحقق: إسناده صحيح»[٤]

وقد يقول قائل: إن هذه الرواية قد قيلت في الكوفة وليست في المدائن، والجواب على ذلك:

أن أحمد بن حنبل أخرج الرواية نفسها من طريق رياح بن الحارث، وبإسناد صحيح[٥]، وفيها:

---

(١) رياح بن الحارث النخعي، ثقة. ابن حجر: التقريب ٢١١.
(٢) أي: بوجهتكم. ابن منظور: لسان العرب ١٥/ ٢.
(٣) ابن سعد: الطبقات (تحقيق د. محمد السلمي) ١/ ٣١٧.
(٤) المصدر السابق.
(٥) أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة (تحقيق د. وصي الله بن محمد عباس) ٢/ ٧٧٣.

«أن الناس اجتمعوا إلى الحسن بن علي بالمدائن. . .»[١] ثم ذكر بقية رواية ابن سعد.

وحيث إن هذه الخطبة قد قيلت في المدائن فإن الأرجح أنها قيلت بعد صلح الحسن مع معاوية رضي الله عنهما ـ حيث يرد بشأنها ماورد بشأن خطبة الحسن التي عند البلاذري ـ بل لعلها كانت جزءاً من خطبة الحسن التي أوردها البلاذري وأسفرت عن اضطراب معسكر الحسن.

بقيت الإشارة إلى موقف الحسن رضي الله عنه تجاه ما حصل له في معسكره.

وهو ما أخرجه ابن سعد من طريق هلال بن خباب[٢]، قال:

«جمع الحسن بن علي رؤوس أصحابه في قصر المدائن، فقال: يا أهل العراق، لو لم تذهل نفسي[٣] عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: مقتلكم أبي، ومطعنكم بغلتي، وانتهابكم ثقلي، أو قال: ردائي عن عاتقي.

وإنكم قد بايعتموني أن تسالموا من سالمت، وتحاربوا من حاربت، وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا، قال: ثم نزل

---

(١) المصدر السابق.
(٢) هلال بن خباب العبدي، صدوق. ابن حجر: التقريب ٥٧٥.
(٣) تذهل نفسي: تسلو نفسي. ابن منظور: لسان العرب ٢٥٩/١١.

فدخل القصر»[١].

«قال المحقق: إسناده حسن»[٢]

أما موقف شرطة الخميس ـ وهم مقدمة جيش العراق إلى مسكن ـ من الصلح، فقد أخرجه الحاكم، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب[٣]، حدثنا العباس بن محمد الدوري[٤]، حدثنا الأسود بن عامر شاذان[٥]، حدثنا زهير بن معاوية[٦]، حدثنا أبو روق الهمداني[٧]، حدثنا أبو الغَريف[٨]، قال:

«كنا في مقدمة الحسن بن علي اثني عشر ألفاً، تقطر أسيافنا من

---

(١) ابن سعد: الطبقات (تحقيق د. محمد السلمي) ١/ ٣٢٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل، الأموي مولاهم، أبو العباس الأصم، كان ثقة صادقاً ضابطاً، توفي سنة ٣٤٦هـ. ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢٣٢.
(٤) عباس بن محمد بن حاتم الدوري، أبو الفضل البغدادي، ثقة حافظ، من الطبقة الحادية عشرة، مات سنة ٢٧١هـ، أخرج له الأربعة. ابن حجر: التقريب ٢٩٤.
(٥) الأسود بن عامر الشامي، أبو عبدالرحمن، يلقب شاذان، ثقة، من الطبقة التاسعة، مات سنة ٢٠٨هـ، أخرج له الستة، ابن حجر: التقريب ١١١.
(٦) زهير بن معاوية بن حديج، أبو خيثمة الجعفي الكوفي، ثقة ثبت، من الطبقة السابعة، مات سنة اثنتين ـ أو ثلاث أو أربع ـ وسبعين أخرج له الستة. ابن حجر: التقريب ٢١٨.
(٧) اسمه عطية بن الحارث، صدوق، من الطبقة الخامسة، أخرج له أبو داود، والنسائي، وابن ماجة. ابن حجر: التقريب ٣٩٣.
(٨) اسمه عبيدالله بن خليفة الهمداني المرادي، صدوق، رمي بالتشيع، من الطبقة الثالثة، أخرج له النسائي وابن ماجة. ابن حجر: التقريب ٣٧٠.

الحدة على قتال أهل الشام، وعلينا أبو العَمرَّطة[١]، فلما أتانا صلح الحسن بن علي ومعاوية، كأنما كسرت ظهورنا من الحرد[٢] والغيظ.

فلما قدم الحسن بن علي الكوفة، قام إليه رجل منا يكنى أبا عامر سفيان بن الليل[٣] فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين.

فقال الحسن: لا تقل ذلك يا أبا عامر، لم أذل المؤمنين، ولكني كرهت أن أقتلهم في طلب الملك»[٤].

«إسناده حسن»

ولكن يلاحظ على هذه الرواية قول أبي الغَريف:

«كنا في مقدمة الحسن بن علي... وعلينا أبو العَمرَّطة».

مع أنه من الثابت أن مُقَدمة الحسن رضي الله عنه ـ وهي جيش الخميس ـ كان عليها قيس بن سعد رضي الله عنه.

والجواب على ذلك أنه يمكن حمل كلام أبي الغريف على أن أبا العَمَرَّطة كان أميراً على مجموعة من جيش الخميس كانت في المقدمة، وكان فيهم أبو الغريف.

---

(١) اسمه عمير بن يزيد الكندي، شارك في حركة حجر بن عدي سنة ٥١هـ. الطبري: التاريخ ٥/ ٢٥٩.
(٢) الحَرَد: الغضب. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٣٥٣.
(٣) من الذين شاركوا المختار الثقفي في الطلب بدم الحسين سنة ٦٦هـ. الطبري: التاريخ ٦/ ٢٠.
(٤) الحاكم: المستدرك ٣/ ١٧٥.

أما قيس بن سعد رضي الله عنه فقد تردد في الدخول في الصلح، واعتزل بمن أطاعه، ثم شرح الله صدره ودخل في الصلح وبايع معاوية رضوان الله عليهم أجمعين، وفي الروايات التالية بيان موقف قيس حين جاءه خبر الصلح:

أخرج ابن حجر من طريق حبيب بن أبي ثابت[١]، أنه قال:

«. . . فبعث الحسن بالبيعة إلى معاوية، فكتب بذلك الحسن إلى قيس بن سعد، فقام قيس بن سعد في أصحابه فقال:

يا أيها الناس، أتاكم أمران، لا بد لكم من أحدهما: دخول في الفتنة، أو قتل مع غير إمام، فقال الناس: ما هذا؟

فقال: الحسن بن علي، قد أعطى البيعة معاوية، فرجع الناس، فبايعوا معاوية. . .»[٢].

«قال ابن حجر: قلت: هذا الإسناد صحيح»[٣]

تشير الرواية السابقة إلى دخول قسم كبير من شرطة الخميس في الصلح فور سماعهم نبأ وقوع الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما، ولكنها لا تذكر دخول قائدهم قيس بن سعد رضي الله عنه في الصلح.

---

(١) حبيب بن أبي ثابت بن دينار الأسدي، مولاهم، ثقة فقيه جليل، من الطبقة الثالثة، مات سنة ١١٩هـ، أخرج له الستة. ابن حجر: التقريب ١٥٠.

(٢) ابن حجر: المطالب العالية ٤/٣١٧ ـ ٣١٩.

(٣) المصدر السابق.

وقد أشار ابن كثير رحمه الله إلى ذلك بقوله:

«وبعث الحسن بن علي إلى أمير المقدمة قيس بن سعد أن يسمع ويطيع، فأبى قيس بن سعد قبول ذلك، وخرج عن طاعتهما جميعاً، واعتزل بمن أطاعه، ثم راجع الأمر، فبايع معاوية»[١].

كما تحدث ابن أبي شيبة عن موقف قيس بن سعد رضي الله عنه ـ ومن تابعه من شرطة الخميس ـ من الصلح، فقال:

حدثنا أبو أسامة[٢]، عن هشام بن عروة[٣]، عن أبيه[٤]، قال:

«كان قيس بن سعد بن عبادة مع الحسن بن علي رضي الله عنهم على مقدمته، ومعه خمسة آلاف قد حلقوا رؤوسهم بعدما مات علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتبايعوا على الموت، فلما دخل الحسن في بيعة معاوية أبى قيس أن يدخل، وقال لأصحابه:

ما شئتم، إن شئتم جالدت بكم حتى يموت الأعجل منا، وإن شئتم أخذت لكم أماناً، فقالوا: خذ لنا أماناً؛ فأخذ لهم كذا وكذا، وألا يعاقبوا بشيء، وأنه رجل منهم، ولم يأخذ لنفسه خاصةً شيئاً.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ١٦.

(٢) حماد بن أسامة القرشي، مولاهم، ثقة ثبت، مات سنة ٢٠١هـ، أخرج له الستة. ابن حجر: التقريب ١٧٧.

(٣) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، ثقة فقيه مشهور، من الطبقة الخامسة، مات سنة خمس ـ أو ست ـ وأربعين ومائة، أخرج له الستة. ابن حجر: التقريب ٥٧٣.

(٤) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، ثقة فقيه مشهور، من الطبقة الثالثة، مات سنة ٩٤هـ، أخرج له الستة. ابن حجر: التقريب ٣٨٩.

فلما ارتحل نحو المدينة ومضى بأصحابه جعل ينحر لهم كل يوم جزوراً حتى بلغ»[١].

«إسناده صحيح»

وفي الرواية السابقة ـ على مافيها من تقديم وتأخير في تسلسل الأحداث ـ إشارة لعدد الذين تابعوا قيساً من المجموع الكلي لتعداد شرطة الخميس الذي هو اثنا عشر ألفاً.

وقد أشار إلى هذا الأمر أبو الفرج الأصفهاني في الرواية التالية، قال:

«. . .لما صالح الحسن معاوية، اعتزل قيس بن سعد في أربعة آلاف، وأبى أن يبايع، فلما بايع الحسن، أدخل قيس بن سعد ليبايع»[٢].

المرحلة الثامنة:

تنازل الحسن بن علي عن الخلافة وتسليمه الأمر إلى معاوية رضوان الله عليهم أجمعين.

بعد أن أنجى الله سبحانه وتعالى الحسن بن علي من الفتنة التي وقعت في معسكره، ترك المدائن وسار إلى الكوفة. وقد تحدث البلاذري عن مسير الحسن إلى الكوفة فقال:

«قالوا: ولما أراد الحسن المسير من المدائن إلى الكوفة، حين

---

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ٤٧٢؛ ابن عبدالبر: الاستيعاب ٣/ ١٢٩١.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ٧٢.

جاءه ابن عامر[١]، وابن سمرة[٢]، بكتاب الصلح، وقد أعطاه فيه معاوية ما أراد، خطب فقال في خطبته: وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً، وسار إلى الكوفة»[٣].

بعد ذلك سار معاوية رضي الله عنه من مسكن إلى النخيلة[٤]، وفي ذلك يقول البلاذري:

«قالوا: وشخص معاوية من مسكن إلى الكوفة ونزل بين النخيلة ودار الرزق»[٥].

ثم خرج الحسن رضي الله عنه من الكوفة إلى النخيلة ليقابل معاوية رضي الله عنه ويسلم الأمر له.

وهو ما أخرجه الطبراني قال: حدثنا أبو خليفة[٦]، حدثنا علي بن المديني[٧]، حدثنا سفيان[٨]، عن مجالد[٩]، عن

---

(١) هو عبدالله بن عامر رضي الله عنه.
(٢) هو عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه.
(٣) البلاذري: أنساب الأشراف (مخطوط) ٤٤٧.
(٤) النخيلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام. ياقوت: معجم البلدان ٥/ ٢٧٨.
(٥) البلاذري: أنساب الأشراف (مخطوط) ٤٤٧.
(٦) الفضل بن الحباب الجمحي، مسند عصره بالبصرة، كان ثقةً عالماً. الذهبي: الميزان ٣/ ٣٥٠.
(٧) علي بن عبدالله جعفر السعدي، مولاهم، أبو الحسن بن المديني، ثقة ثبت إمام، أعلم أهل عصره بالحديث وعلله، من الطبقة العاشرة، مات سنة ٢٣٤هـ، أخرج له البخاري، وأبو داود والترمذي، والنسائي، وابن ماجه في التفسير. ابن حجر: التقريب ٤٠٣.
(٨) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة (تقدم).
(٩) مجالد بن سعيد الهمذاني، فيه كلام وقد وثق (تقدم).

الشعبي[١]، قال:

«شهدت الحسن بن علي رضي الله عنه بالنخيلة حين صالحه معاوية رضي الله عنه، فقال معاوية: إذا كان ذا فقم فتكلم وأخبر الناس أنك قد سلمت هذا الأمر لي، ـ وربما قال سفيان: أخبر الناس بهذا الأمر الذي تركته لي ـ، فقام فخطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ـ قال الشعبي: وأنا أسمع ـ ثم قال: أما بعد فإن أكيس الكيس[٢] التُّقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما كان حقاً لي تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم، أو يكون حقاً كان لامرىء أحق به مني ففعلت ذلك ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[٣]»[٤].

«إسناده حسن»

كما أخرج هذه الرواية ابن سعد[٥]، والحاكم[٦]، وأبو نعيم الأصفهاني[٧]، والبيهقي[٨]، وابن عبدالبر[٩]، كلهم بنحو رواية

---

(١) عامر الشعبي، ثقة، تقدم.
(٢) أكيس: أعقل، والكيس: العقل. ابن منظور: لسان العرب ٦/ ٢٠١.
(٣) سورة الأنبياء: الآية (١١١).
(٤) الطبراني: المعجم الكبير ٣/ ٢٦.
(٥) الطبقات (تحقيق د. محمد السلمي) ١/ ٣٢٩.
(٦) المستدرك ٣/ ١٧٥.
(٧) حلية الأولياء ٢/ ٣٧.
(٨) دلائل النبوة ٦/ ٤٤٤.
(٩) الاستيعاب ١/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩.

الطبراني من طريق الشعبي.

كذلك أخرج رواية البيعة أحمد بن حنبل من طريق أنس بن سيرين[١]، قال:

«قال الحسن بن علي يوم كلم معاوية: ما بين [جابلص][٢] وجابلق رجلٌ جده نبي غيري، وإني رأيت أن أصلح بين أمة محمد ﷺ، وكنت أحقهم بذاك، ألا إنا قد بايعنا معاوية ولا أدري ﴿لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾»[٣].

«قال المحقق: إسناده صحيح»[٤]

كما أخرج هذه الرواية كل من: عبدالرزاق[٥]، والطبراني[٦]، والبيهقي[٧]، كلهم بنحو رواية أحمد بن حنبل من طريق ابن سيرين.

وكذلك أخرج رواية البيعة ابن سعد من طريق عمرو بن دينار، وفيها:

«... فقام الحسن فقال: يا أيها الناس، إني كنت أكره الناس

---

(١) أنس بن سيرين الأنصاري، أخو محمد، ثقة، من الطبقة الثالثة، مات سنة ثماني عشره ـ وقيل سنة عشرين ـ ومائة، أخرج له الستة. ابن حجر: التقريب ١١٥.

(٢) في الأصل (جابرس)، وجابلص وجابلق: مدينتان، إحداهما بالمشرق، والأخرى بالمغرب، ليس خلفهما أنيس. البكري: معجم ما استعجم ٢/ ٣٥٤.

(٣) أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة (تحقيق د. وصي الله بن محمد) ٢/ ٧٦٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصنف ١١/ ٤٥٢.

(٦) المعجم الكبير ٣/ ٨٧.

(٧) دلائل النبوة ٦/ ٤٤٤.

لأول هذا الحديث، وأنا أصلحت آخره لذي حق أديت إليه حقه أحق به مني، أو حق جدت به لصلاح أمة محمد.

وإن الله قد ولاك يا معاوية هذا الحديث لخير يعلمه عندك، أو لشر يعلمه فيك ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ثم نزل»[١].

«قال المحقق: إسناده صحيح»[٢]

كما أخرج هذه الرواية كل من: البلاذري[٣]، واللالكائي[٤]، وابن عساكر[٥]، كلهم بنحو رواية ابن سعد من طريق عمرو بن دينار.

بعد ذلك جاء الحسن بقيس بن سعد ليبايع معاوية رضوان الله عليهم أجمعين.

وهو ما أخرجه البلاذري قال: حدثني أحمد بن إبراهيم[٦]، حدثنا وهب بن جرير بن حازم[٧]، حدثنا أبي[٨]، قال: سمعت محمد بن سيرين[٩] يقول:

---

(١) ابن سعد: الطبقات (تحقيق د. محمد السلمي) ١/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢.
(٢) المصدر السابق.
(٣) أنساب الأشراف (مخطوط) ٤٤٧.
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٨/ ١٤٥١، ١٤٥٢.
(٥) تاريخ دمشق (مخطوط) ٤/ ٥٤٠.
(٦) أحمد بن إبراهيم الدورقي، ثقة حافظ، من الطبقة العاشرة، مات سنة ٢٤٦هـ، أخرج له مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة. ابن حجر: التقريب ٧٧.
(٧) وهب بن جرير بن حازم الأزدي، ثقة، مات سنة ٢٠٦هـ، أخرج له الستة. ابن حجر: التقريب ٥٨٥.
(٨) جرير بن حازم بن زيد الأزدي، ثقة (تقدم).
(٩) محمد بن سيرين الأنصاري، ثقة ثبت عابد كبير القدر، من الطبقة الثالثة، مات =

«لما بايع الحسن معاوية، ركب الحسن إليه إلى عسكره، وأردف قيس بن سعد بن عبادة خلفه، فلما دخلا المعسكر، قال الناس: جاء قيس، جاء قيس، فلما دخلا على معاوية، بايعه الحسن، ثم قال لقيس: بايع.

فقال قيس بيده: هكذا. وجعلها في حجره، ولم يرفعها إلى معاوية، ومعاوية على السرير، فبرك معاوية على ركبتيه ومَدَّ يده حتى مسح على يد قيس، وهي في حجره، قال أبي[١]: وحكى لنا محمد[٢] صنيعه[٣]، وجعل يضحك، وكان قيس رجلاً جسيماً»[٤].

«إسناده صحيح»

وبتنازل الحسن بن علي عن الخلافة ومبايعته معاوية رضوان الله عليهم أجمعين تنتهي بذلك فترة خلافة النبوة وهي ثلاثون سنة.

والحجة في ذلك قول الرسول ﷺ:

«خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك، أو ملكه، من يشاء»[٥].

= سنة ١١٠هـ، أخرج له الستة. ابن حجر: التقريب ٤٨٣.

(١) القائل: جرير بن حازم.

(٢) هو محمد بن سيرين.

(٣) أي صنيع قيس بن سعد.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف (مخطوط) ٤٤٩، ٤٥٠.

(٥) أبو داود: السنن مع شرحها عون المعبود ١٢/ ٢٥٩؛ الألباني: صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٧٩.

وقوله ﷺ:

«الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك»[١].

«قال الترمذي: هذا حديث حسن»[٢]

وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: «وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه وسلم تسليماً»[٣].

وبذلك يكون الحسن بن علي رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين[٤].

ومما يقتضيه الحديث في هذا المقام الإجابة على السؤالين التاليين:

أ ـ هل معاوية رضي الله عنه خليفة أم ملك؟

ب ـ هل تندرج فترة حكم معاوية رضي الله عنه تحت مسمى (الملك العضوض)؟ وذلك استناداً إلى قوله ﷺ:

---

(١) الترمذي: السنن مع شرحها تحفة الأحوذي ٦/ ٣٩٥ ـ ٣٩٧.
(٢) المصدر السابق.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ١٦.
(٤) القلقشندي: مآثر الأنافة ١/ ١٠٥.

«تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً[١] فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»[٢].

«حديث صحيح»[٣]

وقبل الإجابة على هذين السؤالين ينبغي أن نتعرف على معنى الملك العضوض.

قال الخطابي:

(العضوض جمع عِض، وهو الرجل الخبيث الشَّرِسُ الخُلُق»[٤].

وقال ابن منظور:

«العض: الشد بالأسنان على الشيء»[٥]، «ومُلك عَضُوض: شديد، فيه عسفٌ وعنفٌ، أي يصيب الرعية فيه عسفٌ وظلم كأنهم يعضون عضاً»[٦].

---

(١) أي: عُتوٌّ وقَهرٌ. ابن منظور: لسان العرب ٤/ ١١٣.
(٢) أحمد بن حنبل: المسند ٤/ ٢٧٣.
(٣) محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٨.
(٤) الخطابي: غريب الحديث ١/ ٢٥٠.
(٥) ابن منظور: لسان العرب ٧/ ١٨٨.
(٦) المصدر السابق ٧/ ١٩١.

وقال الفيروزآبادي: «العضوض: ملك فيه عسف وظلم»[١].

وبعد معرفة المقصود بالملك العضوض، يتضح لنا عدم انطباقه على عهد معاوية رضي الله عنه، ومن يتأمل فضائل معاوية رضي الله عنه يجزم بذلك[٢].

ومن أجل تصنيف عهد معاوية رضي الله عنه فلا بد من استعراض أهم الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ في الخلافة والخلفاء.

وهذه الأحاديث هي:

١ـ عن سفينة[٣] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك، أو ملكه من يشاء»[٤].

٢ـ عن حذيفة[٥] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) الفيروزأبادي: القاموس المحيط ٨٣٥.

(٢) انظر فضائل معاوية رضي الله عنه في التمهيد.

(٣) سفينة مولى رسول الله ﷺ، يكنى أبا عبدالرحمن، يقال إن اسمه مهران، وقيل غير ذلك، أصله من فارس فاشترته أم سلمة رضي الله عنها، ثم أعتقته واشترطت عليه أن يخدم رسول الله ﷺ، لُقِّب سفينة لكونه حمل شيئاً كثيراً في السفر، أخرج له البخاري والأربعة. ابن حجر: التقريب ٢٤٥؛ الإصابة ٣/ ١٣٢.

(٤) أبو داود: السنن مع شرحها عون المعبود ١٢/ ٢٥٩؛ محمد ناصر الدين الألباني: صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٧٩.

(٥) حذيفة بن اليمان العبسي، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين، صح في مسلم عنه أن الرسول ﷺ أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، مات في أول خلافة علي رضي الله عنه سنة ٣٦هـ، أخرج له الستة. ابن حجر: التقريب ١٥٤.

«تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت»[١].

«حديث صحيح»[٢]

٣ـ ما أخرجه مسلم من طريق جابر بن سمرة[٣] رضي الله عنه قال: دخلت مع أبي على النبي ﷺ، فسمعته يقول:

«إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفةً، قال: ثم تكلم بكلام خفي عليَّ، قال: فقلت لأبي: ما قال، قال: كلهم من قريش»[٤].

وفي رواية عن جابر:

«لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشرة خليفة... كلهم من قريش»[٥].

---

(١) أحمد بن حنبل: المسند ٤/ ٣٧١ ـ ٣٧٢.
(٢) محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٨.
(٣) جابر بن سمرة بن جندة السوائي، صحابي ابن صحابي، نزل الكوفة ومات فيها بعد سنة سبعين، أخرج له الستة. ابن حجر: التقريب ١٣٦.
(٤) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٢٠١.
(٥) المصدر السابق ١٢/ ٢٠٢.

وفي رواية أخرى عنه:

«لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة... كلهم من قريش»[١].

زاد أبو داود في سننه، بإسناده عن جابر رضي الله عنه قال:

«فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون الهَرْج[٢]»[٣].

وقد تناول الأئمة الأعلام هذه الأحاديث بالشرح والتفصيل وأطالوا النفس في ذلك فأجادوا وأفادوا.

وفيما يلي خلاصة ما ذكروه في هذه المسألة:

تكلم القاضي عياض عن الجمع بين حديثي سفينة وجابر بن سمرة رضوان الله عليهم أجمعين فقال:

«قد توجه هنا سؤالان.

أحدهما: أنه قد جاء في الحديث الآخر الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً، وهذا مخالف لحديث اثني عشر خليفة فإنه لم يكن في ثلاثين سنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة، والأشهُر التي بويع فيها

---

(١) المصدر السابق ١٢/ ٢٠٣.

(٢) هرج الناس: وقعوا في فتنة واختلاط وقتل. الفيروزأبادي: القاموس المحيط ٢٦٨.

(٣) أبو داود: السنن مع شرحها عون المعبود ١١/ ٢٤٩؛ محمد ناصر الدين الألباني: صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٠٧.

الحسن بن علي؟

والجواب عن هذا:

أن المراد في حديث الخلافة ثلاثون سنة، خلافة النبوة، وقد جاء مفسراً في بعض الروايات خلافة النبوة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً، ولم يشترط هذا في الاثنى عشر.

السؤال الثاني: أنه قد ولي أكثر من هذا العدد؟

١ـ وهذا اعتراض باطل؛ لأنه ﷺ لم يقل لا يلي إلا اثنا عشر خليفة، وإنما قال يلي، وقد ولي هذا العدد ولا يضر كونه وُجِد بعدهم غيرهم، هذا إن جعل المراد باللفظ كل وال.

٢ـ ويحتمل أن يكون المراد مستحق الخلافة العادلين، وقد مضى منهم من علم، ولا بد من تمام هذا العدد قبل قيام الساعة.

٣ـ وقيل: إن معناه أنهم يكونون في عصر واحد، يتبع كل واحد منهم طائفة.

٤ـ ويحتمل أن المراد من يعز الإسلام في زمنه ويجتمع المسلمون عليه... وهذا قد وجد قبل اضطراب بني أمية واختلافهم.

وقد ختم القاضي عياض كلامه بقوله: ويحتمل أوجهاً أخرى، والله أعلم بمراد نبيه ﷺ»[1].

---

(١) النووي: شرح صحيح مسلم ١٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٣.

كما تكلم ابن الجوزي عن الحديث الذي يرويه جابر بن سمرة رضي الله عنه فقال:

«قد أطلت البحث عن معنى الحديث، وتطلبت مظانه، وسألت عنه فلم أقع على المقصود به؛ لأن ألفاظه مختلفة... ثم وقع لي فيه شيء:

فأما الوجه الأول: فإنه أشار إلى ما يكون بعده وبعد أصحابه، وأن حكم أصحابه مرتبط بحكمه، فأخبر عن الولايات الواقعة بعدهم، فكأنه أشار بذلك إلى عدد الخلفاء من بني أمية، وكأن قوله «لا يزال الدين ـ أي الولاية ـ إلى أن يلي اثنا عشر خليفة»، ثم تنتقل إلى صفة أخرى أشد من الأولى.

وأما الوجه الثاني: يحتمل أن يكون هذا بعد المهدي الذي يخرج في آخر الزمان.

والوجه الثالث: أن المراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى يوم القيامة يعملون بالحق وإن لم تتوال أيامهم»[1].

وقد تعقب ابن حجر العسقلاني ما ذكره كل من القاضي عياض، وابن الجوزي، فرجَّح الوجه الرابع عند القاضي عياض[2] ـ وهو الوجه الثالث في ترتيب ابن حجر؛ لأنه دمج الوجه الأول عند القاضي عياض

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ١٣/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧.
(٢) المصدر السابق ١٣/ ٢٢٧.

مع الوجه الثاني ـ ورد الوجه الثالث[١] ـ وهو الثاني في ترتيب ابن حجر ـ كما رد الوجه الأول والثاني من كلام ابن الجوزي»[٢].

وقد أدلى ابن حجر العسقلاني بدلوه في الكلام على حديث جابر بن سمرة فقال:

«الأولى أن يحمل قوله «يكون بعدي اثنا عشر خليفة» على حقيقة البعدية، فإن جميع من ولي الخلافة من الصدِّيق إلى عمر بن عبدالعزيز[٣] أربعة عشر نفساً، منهم اثنان لم تصح ولايتهما ولم تطل مدتهما وهما: معاوية بن يزيد[٤]، ومروان بن الحكم، والباقون اثنا عشر نفساً على الولاء كما أخبر ﷺ، وكانت وفاة عمر بن عبدالعزيز سنة إحدى ومائة، وتغيرت الأحوال بعده»[٥].

وبعد استعراض كلام ابن حجر، وردوده، على من سبقه

(١) المصدر السابق ١٣/ ٢٢٥.
(٢) المصدر السابق ١٣/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧.
(٣) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم، أمير المؤمنين، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولي إمرة المدينة للوليد بن عبدالملك، وكان مع سليمان بن عبدالملك كالوزير، وولي الخلافة بعده، فعد من الخلفاء الراشدين، من الطبقة الرابعة، مات في رجب سنة إحدى ومائة، وله أربعون سنة، ومدة خلافته سنتان ونصف، أخرج له الستة. ابن حجر: التقريب ٤١٥.
(٤) معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، بويع له بعد موت أبيه ـ وكان ولي عهده من بعده ـ في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، وكان رجلاً صالحاً ناسكاً، ولم تطل مدته حيث مات في نفس سنة ٦٤هـ. ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ٢٣٧.
(٥) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ١٣/ ٢٢٨.

بخصوص حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، ظهر لي أنه قد فاته الاطلاع على كلام نفيس لابن كثير حول حديث جابر رضي الله عنه.

قال ابن كثير:

«ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً يقيم الحق ويعدل فيهم، ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم، بل قد وجد منهم أربعة على نسق وهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ومنهم عمر بن عبدالعزيز بلا شك عند الأئمة، وبعض بني العباس، ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة، والظاهر أن منهم المهدي المُبشَّر به في الأحاديث الواردة بذكره... ـ وليس هذا بالمنتظر الذي تتوهم الرافضة[١] وجوده ثم ظهوره من سرداب سامراء[٢]، فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية، بل هو من هوس العقول السخيفة، وتوهم الخيالات الضعيفة ـ وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الاثني عشر الأئمة الاثني عشر الذين يعتقد فيهم الاثنا عشرية من الروافض لجهلهم وقلة عقلهم.

وفي التوراة البشارة بإسماعيل عليه السلام وأن يقيم من صلبه اثني عشر عظيماً، وهم الخلفاء الاثنا عشر»[٣].

---

(١) الرافضة: هم الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم. ابن تيمية: الفتاوى ٣/ ١٥٤.

(٢) سامراء: لغة في سُرَّ من رأى، وهي مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة. ياقوت: معجم البلدان ٣/ ١٧٣.

(٣) ابن كثير: التفسير ٢/ ٣٤.

وقال ابن كثير في موضع آخر:

«وفي هذا الحديث دلالة على أنه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادل. . . يكونون من قريش، ويلون فيعدلون، وقد وقعت البشارة بهم في الكتب المتقدمة، ثم لا يشترط أن يكونوا متتابعين بل يكون وجودهم في الأمة متتابعاً ومتفرقاً، وقد وجد منهم أربعة على الولاء وهم أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم، ثم كانت بعدهم فترة ثم وجد منهم من شاء الله، ثم قد يوجد منهم من بقي في الوقت الذي يعلمه الله تعالى، ومنهم المهدي»[١].

قلت: وهذا الوجه الذي ذهب إليه ابن كثير يعد أقرب الأوجه إلى نص حديث الرسول ﷺ بدليل الزيادة التي وردت في سنن أبي داود عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال:

«فلما رجع ـ أي الرسول ﷺ ـ إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يكون **الهَرْج**».

وهذا **الهَرْج** هو الذي يحصل في آخر الزمان، ومن أجل ذلك فقد أخرج أبو داود في سننه أحاديث جابر بن سمرة في الخلفاء في كتاب المهدي[٢].

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٣١٢.

(٢) أبو داود: السنن مع شرحها عون المعبود ١١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٩.

ومن خلال الأحاديث التي تقدم ذكرها في الخلافة والخلفاء نستنتج المراحل التالية:

١ـ مرحلة خلافة النبوة، وهذه المرحلة كما تقدم انتهت بتنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه في شهر ربيع الأول من سنة ٤١هـ.

٢ـ مرحلة الخلفاء الاثني عشر.

٣ـ مرحلة المُلك العضوض.

٤ـ مرحلة المُلك الجبري.

٥ـ ثم تكون خلافة على منهاج النبوة.

وبالنسبة لمرحلة الخلفاء الاثني عشر فإنه استناداً إلى الوجه الذي ذكره ابن كثير فإن هذه المرحلة تمتاز بأن مداها الزمني يتخلل المراحل الأخرى كلها، وخلفاء هذه المرحلة يكون ظهورهم في الأمة متتابعاً ومتفرقاً ـ وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة ـ، ويبدأ ظهورهم من وفاة الرسول ﷺ ـ أي بخلافة أبي بكر رضي الله عنه ـ وتكتمل هذه المرحلة بظهور آخرهم في آخر الزمان حيث يعقب خلافته (الهَرْج).

وقد ذكر ابن كثير أن من خلفاء هذه المرحلة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، ولما كان معاوية رضي الله عنه أفضل من عمر بن عبدالعزيز فهذا يعني دخول معاوية رضي الله عنه في خلفاء هذه المرحلة، هذا

والله تعالى أعلم.

وقد تقدم بيان شيء من فضائل معاوية رضي الله عنه[١]، وفيما يلي بيان ما يتعلق بالمفاضلة بين معاوية رضي الله عنه وعمر بن عبدالعزيز رحمه الله:

١ـ سئل ابن المبارك عن معاوية رضي الله عنه فقال:

«ما أقول في رجل قال رسول الله ﷺ: سمع الله لمن حمده، فقال خلفه: ربنا ولك الحمد.

فقيل له: أيهما أفضل هو أو عمر بن عبدالعزيز؟

فقال: لتراب في منخري معاوية مع رسول الله ﷺ خير وأفضل من عمر بن عبدالعزيز»[٢].

٢ـ وسئل المعافى بن عمران[٣]: أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبدالعزيز؟

فغضب وقال للسائل: «أتجعل رجلاً من الصحابة مثل رجل من التابعين؟

معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله»[٤].

---

(١) انظر التمهيد.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ١٣٩.

(٣) المعافى بن عمران الأزدي، ثقة عابد فقيه، من كبار الطبقة التاسعة، مات سنة خمس وثمانين ومائة ـ وقيل سنة ست ـ أخرج له البخاري، وأبو داود، والنسائي. ابن حجر: التقريب ٥٣٧.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ١٣٩.

٣ـ كذلك فإن الجمع الذي بايع معاوية رضي الله عنه خير من الجمع الذي بايع عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، فقد بايع لمعاوية جمٌّ غفير من صحابة رسول الله ﷺ.

وفي ذلك يقول ابن حزم:

«فبويع الحسن، ثم سلَّم الأمر إلى معاوية، وفي بقايا الصحابة من هو أفضل منهما بلا خلاف ممن أنفق قبل الفتح وقاتل، فكلهم أولهم عن آخرهم بايع معاوية، ورأى إمامته»[١].

أما بالنسبة لإجابة السؤال الأول من كون معاوية رضي الله عنه خليفة أو ملكاً، فإنه استناداً إلى حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، وإلى ما تقرر من كلام ابن كثير رحمه الله حول حديث جابر، وكذلك استناداً إلى ما تقدم من فضائل معاوية رضي الله عنه، فإنه معاوية يعتبر أحد الخلفاء الاثنى عشر الذين أعز الله بهم الإسلام، هذا والله تعالى أعلم.

---

(١) ابن حزم: الفصل ٦/٥.

مواقف أمراء علي رضي الله عنه من الصلح

اتسمت مواقف أمراء علي رضي الله عنه من الصلح بالتباين والتفاوت، حيث قبله بعضهم وكرهه بعضهم الآخر، وفيما يلي تبيان لتلك المواقف:

١ـ موقف القبول والاستحسان، ويأتي في مقدمة هؤلاء عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

٢ـ موقف الرفض ثم القبول، ويأتي في مقدمة هؤلاء قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه، وزياد بن أبيه[١].

٣ـ وهناك فريق ثالث دخل في الصلح وهو كاره له، وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين:

أ ـ قسم يرى أن الصلح ملزم له في ظل حياة الحسن بن علي رضي الله عنه فقط، ويمثل هؤلاء حجر بن عدي[٢] رضي الله عنه.

---

(١) يأتي الحديث عنه في الصفحة التالية.

(٢) حجر بن عدي الكندي، أبو عبدالرحمن، له صحبة ووفادة، وكان شريفاً، أميراً مطاعاً، أمّاراً بالمعروف، مُقدِماً على الإنكار، من شيعة علي رضي الله عنه، شهد صفين أميراً، وكان ذا صلاح وتعبُّد، قتل سنة ٥١هـ. الذهبي: السير ٣/ ٤٦٢. ولمعرفة موقف حجر رضي الله عنه من الصلح، انظر الفصل الأخير =

ب ـ قسم يرى أن الصلح ملزم له في ظل حياة الحسن ومعاوية رضي الله عنهما، أو أحدهما، ويمثل هؤلاء الحسين بن علي[١] رضي الله عنه.

دخول زياد بن أبيه في الصلح:

[٤٩] حدثني عمر بن شبة، قال: حدثني علي، عن حبان بن موسى، عن المجالد، عن الشعبي، قال:

«كتب معاوية حين قتل علي عليه السلام إلى زياد يتهدده، فقام خطيباً فقال: العجب من ابن آكلة الأكباد، وكهف النفاق، ورئيس الأحزاب، كتب إليّ يتهددني وبيني وبينه ابنا عم رسول الله ﷺ ـ يعني ابن عباس والحسن بن علي[٢] ـ في تسعين ألفاً، واضعي سيوفهم على عواتقهم، لا ينثنون، لئن خلص إليّ الأمر ليجدني أحمز[٣] ضراباً بالسيف، فلم يزل زياد بفارس والياً حتى صالح الحسن عليه السلام معاوية، وقدم معاوية الكوفة، فتحصن زياد في القلعة التي يقال لها قلعة زياد»[٤].

= من الرسالة.

(١) كان الحسين رضي الله عنه من الكارهين للصلح لكنه لم يحرك ساكناً حتى توفي معاوية، بعد ذلك قام بحركته التي استشهد فيها.

(٢) قال ابن الأثير: «قول من قال في هذا: إن زياداً عنى ابن عباس وهم؛ لأن ابن عباس فارق علياً في حياته». ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/٤١٦.
قلت: ولا يستقيم إيراد الحسن بن علي رضي الله عنه في هذا المقام، فهو حفيد رسول الله ﷺ وليس ابن عمه.

(٣) أحمز: شديد. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٦٥٤.

(٤) ٥/ ١٧٠.

هذا الخبر أورده البلاذري[١] بنحوه، إلا أنه ذكر أن هذه الحادثة وقعت في حياة علي رضي الله عنه، وأورده الدينوري[٢] بنحوه، وذهب إلى ماذهب إليه البلاذري، وأورده اليعقوبي بنحوه، إلا أنه قال على لسان زياد: «وبيني وبينه ابنا بنت رسول الله»[٣].

وهذا الخبر بمجموعه فيه تحامل على والدي معاوية رضي الله عن الجميع، وفي أمر من أمور الجاهلية، وآفة هذه الرواية تدور حول مجالد بن سعيد الهمداني الذي اجتمعت فيه علتان في هذا المقام، وهما الاختلاط والتشيع.

[٥٠] حدثني عمر، قال: حدثنا علي، عن مسلمة بن محارب، قال:

«أقام زياد في القلعة أكثر من سنة، فكتب إليه معاوية: علام تهلك نفسك؟ إلي فأعلمني عِلمَ ما صار إليك مما اجتبيت من الأموال، وما خرج من يديك، وما بقي عندك، وأنت آمن، فإن أحببت المقام عندنا أقمت، وإن أحببت أن ترجع إلى مأمنك رجعت.

فخرج زياد من فارس، وبلغ المغيرة بن شعبة أن زياداً قد أجمع على إتيان معاوية، فشخص المغيرة إلى معاوية قبل شخوص زياد من فارس، وأخذ زياد من إصطخر[٤] إلى أرجان[٥]، فأتى ماه بهراذان[٦]،

---

(١) أنساب الأشراف ٤/ ١٨٩.
(٢) الأخبار الطوال ٢١٩.
(٣) اليعقوبي: التاريخ ٢/ ٢١٨.
(٤) إصطخر: بلدة بفارس. ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ٢١١.
(٥) أرجان: مدينة بفارس. ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ١٤٣.
(٦) ماه بهراذان: بلدة بفارس. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٥/ ٤٩.

ثم أخذ طريق حلوان[١] حتى قدم المدائن، فخرج عبدالرحمن[٢] إلى معاوية يخبره بقدوم زياد، ثم قدم زياد الشام، وقدم المغيرة بعد شهر، فقال له معاوية: يا مغيرة، زياد أبعد منك بمسيرة شهر، وخرجت قبله وسبقك.

فقال: يا أمير المؤمنين، إن الأريب إذا كلم الأريب أفحمه.

قال: خذ حذرك، واطْوِعَنِّي سِرَّك.

فقال: إن زياداً قدم يرجو الزيادة، وقدمت أتخوف النقصان، فكان سيرنا على حسب ذلك.

قال: فسأل معاوية زياداً عما صار إليه من أموال فارس، فأخبره بما حمل منها إلى علي رضي الله عنه، وما أنفق منها في الوجوه التي يحتاج فيها إلى النفقة، فصدقه معاوية على ما أنفق، وما بقي عنده، وقبضه منه، وقال: قد كنت أمين خلفائنا[٣][٤].

هذا الخبر أورده ابن كثير[٥] بنحوه، ولعلنا إذا استثنينا من هذه

---

(١) حلوان: آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢/ ٢٩٠.

(٢) هو عبدالرحمن بن أبي بكرة.

(٣) في هذا القول إشارة من معاوية إلى استعمال زياد في خلافة عمر رضي الله عنه في حساب غنائم جلولاء وإلى استعماله في خلافة علي رضي الله عنه على خراج البصرة. الطبري: التاريخ ٤/ ٣٩، ٥/ ١٣٦.

(٤) ٥/ ١٧٧، ١٧٨.

(٥) البداية والنهاية ٨/ ٢٤.

الرواية المبالغة في قصة خروج المغيرة رضي الله عنه من الكوفة وتوجهه إلى دمشق لملاقاة معاوية رضي الله عنه، فإن هذه الرواية قد بينت كيفية احتواء معاوية لحركة اعتصام زياد بفارس، وعدم استعجاله في حسم هذا الأمر، وهذا من حكمته رضي الله عنه.

[٥١] وقال بعضهم:

«التقى زياد وابن خازم بأرجان، فكانت بينهم منازعة، فقال زياد لابن خازم: قد أتاني أمان معاوية، فأنا أريده، وهذا كتابه إليّ.

قال: فإن كنت تريد أمير المؤمنين فلا سبيل عليك، فمضى ابن خازم إلى سابور[١]، ومضى زياد إلى ماه بهراذان، وقدم على معاوية، فسأله عن أموال فارس، فقال: دفعتها يا أمير المؤمنين في أرزاق وأعطيات وحمالات، وبقيت بقية أودعتها قوماً، فمكث بذلك يردده، وكتب زياد كتباً إلى قوم منهم: شعبة بن القلعم[٢]: قد علمت مالي عندكم من الأمانة، فتدبروا كتاب الله عزوجل ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ. . .﴾[٣] الآية، فاحتفظوا بما قبلكم.

وسمى في الكتب بالمبلغ الذي أقر به لمعاوية، ودس الكتب مع رسوله، وأمره أن يعرض لبعض من يبلغ ذلك معاوية، فتعرض رسوله حتى انتشر ذلك، وأخذ فأتي به معاوية، فقال معاوية لزياد: لئن لم تكن مكرت بي إن هذه الكتب من حاجتي.

---

(١) سابور: كورة بفارس. ياقوت: معجم البلدان ٣/ ١٦٧.
(٢) شعبة بن القلعم، لم أقف على ترجمته.
(٣) سورة الأحزاب: الآية (٧٢).

فقرأها، فإذا هي بمثل ما أقر به، فقال معاوية:

أخاف أن تكون قد مكرت بي، فصالحني على ماشئت، فصالحه على شيء مما ذكره أنه عنده، فحمله، وقال زياد:

يا أمير المؤمنين، قد كان لي مال قبل الولاية، فوددت أن ذلك المال بقي، وذهب ما أخذت من الولاية، ثم سأل زياد معاوية له في نزول الكوفة فأذن له، فشخص إلى الكوفة، فكان المغيرة يكرمه ويعظمه، فكتب معاوية إلى المغيرة:

خذ زياداً، وسليمان بن صرد[١]، وحجر بن عدي، وشَبَث بن ربعي[٢]، وابن الكواء[٣]، وعمرو بن الحمق[٤]، بالصلاة في الجماعة، فكانوا يحضرون معه في الصلاة[٥][٦].

---

(١) سليمان بن صرد الخزاعي، صحابي، من أمراء علي رضي الله عنه، أمير حركة التوابين، قتل في عين الوردة سنة ٦٥هـ. ابن عبدالبر: الاستيعاب ٢/٦٤٩.

(٢) شَبث بن ربعي التميمي، مخضرم، كان مؤذن سجاح، ثم أسلم، ثم كان ممن أعان على عثمان، ثم صحب علياً، ثم صار من الخوارج عليه، ثم تاب وحضر قتل الحسين، ثم كان من المطالبين بدمه مع المختار، ثم حضر قتل المختار، ومات بالكوفة في حدود الثمانين. ابن حجر: التقريب ٢٦٣.

(٣) عبدالله بن الكواء اليشكري، كان من المسيرين من الكوفة إلى الشام في خلافة عثمان رضي الله عنه، ثم شارك في صفين مع علي رضي الله عنه، ثم خرج عليه بعدها. تاريخ الطبري ٤/٣٢٩، ٥/٦٣.

(٤) عمرو بن الحمق الخزاعي، صحابي، سكن الكوفة، ثم مصر، قتل في خلافة معاوية. ابن حجر: التقريب ٤٢٠.

(٥) قال ابن الأثير: «وإنما ألزمهم بذلك لأنهم كانوا من شيعة علي». الكامل في التاريخ ٣/٤٢٤.

(٦) ٥/١٧٩.

هذا الخبر أورده ابن الأثير[١] بنحوه، لكن يلاحظ على رواية الطبري أنه لم يذكر مصدره في هذه الرواية، ولعل هذا إشارة منه إلى بعض ما فيها من ضعف، وخاصة قضية رسول زياد إلى بعض أهل فارس وبلوغ خبر الرسول إلى معاوية رضي الله عنه.

أما إلزام رجالات علي رضي الله عنه في الكوفة بالصلاة في المسجد الذي يصلي فيه أمير الكوفة فقد كان إجراء احتياطياً من معاوية حتى يكون هؤلاء القوم تحت ناظري والي الكوفة باستمرار، وذلك أن صلح الحسن ومعاوية يوجد له معارضون، ولا يستبعد التفافهم حول بعض رجالات علي ـ رضي الله عنه ـ الكارهين للصلح، لذا جاء هذا القرار من معاوية رضي الله عنه حسماً منه لمادة الفتنة.

---

(١) الكامل في التاريخ ٣/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤.